جامعة الشّهيد حمّه لخضر – الوادي

معهد العلوم الإسلامية

قسم أصول الدين

الشيخ عبد الواحد يحي وجهوده في خدمة التصوف الإسلامي

مذكرة تخرّج تدخل ضمن متطلّبات الحصول على شهادة الماستر

في العلوم الإسلامية – تخصّص: العقيدة

إعداد الطالب:

عبد الباقي بوخزنة.

إشراف الدكتور:

معمر قول.

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصّفة
د.خالد حباسي	أستاذ محاضر.أ	جامعة الشهيد: حمّة لخضر– الوادي	رئيسا
د.معمر قول	أستاذ محاضر.ب	جامعة الشهيد: حمّة لخضر– الوادي	مشرفا ومقرّرا
د.بشير بوساحة	أستاذ محاضر.ب	جامعة الشهيد: حمّة لخضر– الوادي	مناقشا

السنة الجامعية: 1438هـ–1439هـ/ 2017م–2018م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

بأسمى عبارات الشكر والامتنان، وبكل معاني الحب والتقدير والاحترام، أرفع هذه الكلمة التي استحقها كل من استفدنا منه، خلال مسارنا التكويني في طور الماستر، كل الأستاذة كل باسمه الدكتور :خالد حباسي، الدكتور عبد الرحمان طيبي، الدكتور عمارة نصيرة، الدكتور عامر أحمد باي، الدكتور محمد عمارة، الدكتور بشير بوساحة، الدكتور عبد الرحمان تركي، الدكتور عمر روينة، الدكتور زوهير بن كتفي، الدكتور جمال الأشراف.

و كذا أخص بالشكر الباحث الفاضل عبد الباقي مفتاح، والباحثة الفاضلة الدكتور سهام إبراهيم عبد المجيد، اللذان ساعداني كثيرا في إنجاز هذا البحث، وذلك لاهتمامهما بالأبحاث والدراسات المتعلقة بالشيخ عبد الواحد يحي.

وأما شكري الخاص فهو لمن كان سببا في اختياري هذا البحث، ومعينا على إنجازه ومتابعا لي في كل ثناياه، نصحا، وإرشادا، وتوجيها، فضيلة الدكتور المشرف الدكتور **معمر قول** ، حفظك الله علمًا لهذه الأمة.

الإهـــداء

إلى الوالدين الكريمين

أهدي ثمرة هذا العمل المتواضع ...

ملخص:

جاءت هذه الدراسة بعنوان: الشيخ عبد الواحد يحي وجهوده في خدمة التصوف الإسلامي؛ لتصف حياة وجهود أهم المتخصصين في التصوف الإسلامي, حيث بينت الدراسة مكانة الشيخ عبد الواحد يحي في الوسط الصوفي الغربي الحديث, وقد تعرضت هذه الدراسة لمعالم التجربة الروحية عنده, فبينت مفهوم التصوف في فكر الشيخ؛ والذي يعرفه بتجربة روحية عرفانية وفقط. وحددت الدراسة الشروط التي وضعها الشيخ لطالبي الانتساب للتصوف وهي: الاستعدادات الأولية, والمجاهدة, ثم الارتباط بالسلسلة الروحية, و أوضحت كيف أن الشيخ اختار الطريق الصوفي؛ المتقيد بضوابط الشريعة الإسلامية؛ وهذا ما دفعه ليقود حملة نقدية في وجه الحركات الروحانية الزائفة, وقد احتوت هذه الدراسة: مقدمة مهدت فيها للموضوع, وذكرت فيها منهج البحث وخطته, ثم فصل جعلته كأساس مفاهيمي؛ تطرقت فيه للمضامين المعرفية التي تدور حول تعريف كلمة تصوف ومراحل نشأته, ثم ناقشت مسألة أصالة التصوف الإسلامي بين المؤيد والمعارض, ثم فصل ثاني: ذكرت فيه حياة ونشأة الشيخ ودخوله للإسلام, ثم عرضت أسس الطريق الصوفي للشيخ عبد الواحد يحي؛ ونقده لأخطاء ومزالق التصوف المنتشر في هذا العصر, ثم أتممت البحث بخاتمة ضمنتها أهم النتائج.

Abstract:

This dissertation seeks to study the life and the efforts of Sheikh Abdul Wahid Yahya, one of the most famous specialists in Islamic Sufism. For this reason, the study was titled :"The Efforts of Sheikh Abdul Wahid Yahya in the Service of Islamic Sufism". The aim of this study is to shed light on the position of Sheikh Abdul Wahid Yahya in the modern Western Sufism community .

The study focused on the features of the spiritual experience in the thought of the sheikh, where the concept of Sufism emerges as only a spiritual ('Irfan) experience. The study also identified the conditions of affiliation to Sufism which were suggested by Sheikh Abdul Wahid Yahya : Predisposition, Self-striving (Mujāhadah), and the attachment to the spiritual chain ('Tariqa.)

This research explained how the Sheikh chose the Sufi path which adheres to the rules of S'haria (Islamic law), and how he criticized the distorted Sufi movements.

The study has been divided into two chapters; The problem of study and the methodology of research was presented in the introduction. The first chapter was devoted to conceptual framework, in order to discuss the concept of Sufism and its emergence stages, and then discuss the originality of Islamic Sufism between the supporters and the opponents. While the second chapter attempts to shed light on the life of Sheikh Abdul Wahid Yahya and his Sufi path foundations. In addition will be addressed his criticism of the wrong Sufism today , Finally the study conclude the research with the main results.

المقدمة

المقدمة

الحمد لله الذي زين قلوب أوليائه بأنوار الوفاق، وسقى أسرار أحبائه شرابًا لذيذ المذاق، وألزم قلوب الخائفين الوجَل والإشفاق، فلا يعلم الإنسان في أي الدواوين كتب ولا في أيِّ الفريقين يساق، فإن سامح فبفضله، وإن عاقب فبعدلِه، ولا اعتراض على الملك الخلاق.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، إلهٌ عزَّ مَن اعتز به فلا يضام، وذلَّ مَن تكبر عن أمره ولقي الآثام.

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وشفيعنا محمدًا عبد الله ورسوله، وصفيه من خلقه وحبيبه، خاتم أنبيائه، وسيد أصفيائه، المخصوص بالمقام المحمود، في اليوم المشهود، الذي جُمع فيه الأنبياء تحت لوائه.

وعلى آله وأصحابه، ومن سار على نهجه، وتمسَّك بسنته، واقتدى بهديه، واتَّبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد :

يعتبر علم التصوف من أبرز العلوم التي نشأت في الحضارة الاسلامية، وقد حمل لواءه أعلام وضعوا قواعده، وأرسوا معالمه، وحددوا طريقه، وشرحوا مصطلحاته، ورافعوا ودافعوا عنه، ضد منتقديه والمتحاملين عليه من الفكرين: الغربي والإسلامي، ولشرف هذا العلم شرُف رجاله، لذا ارتأيت أن أبحث في موروث رجل من أساطينه وكبرائه، الذي أنار درب كثير من الحائرين وألجم العديد من الحاقدين إنه البوصلة المعصومة الشيخ عبد الواحد يحي رينيه غينون، أحد أقطاب المدرسة الصوفية في القرن العشرين.

أسباب اختيار الموضوع:

هناك عدة أسباب دفعتني لاختيار هذا الموضوع من أبرزها:

1-الرغبة الشديدة في البحث في الدراسات الصوفية المعاصرة.

2-مكانة الشيخ عبد الواحد يحي في الفكر الصوفي العالمي .

3- دفاع الشيخ عبد الواحد يحي عن الإسلام وعن التصوف في الأوساط الأوروبية .

4- المعرفة الموسوعية التي يتميز بها الشيخ عبد الواحد يحي.

أهمية الموضوع:

تظهر أهمية الموضوع في أنه يتعلق بشخصية مهمة في التصوف الاسلامي المعاصر، فلطالما رفع الشيخ عبد الواحد يحي راية التصوف، ودافع عنه في العالم الغربي، وخاصة في مرحلة انتشار الفلسفات المادية الإلحادية، التي هاجمت الأديان جميعا، وهذا ما جعله يدرس ويتخصص في تلك المذاهب والفلسفات، حتى سبر أغوارها مما مكنه من نقضها، وكشف عوارها والرد عليها، فاستحق لقب أكبر الروحانيين في العصر الحديث.

أهداف الدراسة:

يمكن إجمال الأهداف التي أردت تحقيقها من خلال هذا الموضوع فيما يلي:

1-التعرف أكثر على مسيرة الشيخ وإسهامه الكبير في الجانب الصوفي.

2- إبراز جهود الشيخ في خدمة التصوف الإسلامي.

3- الاستفادة من خبرة الشيخ في مجال نقض الفلسفات الغربية.

4- محاولة الوقوف على أهم معالم الطريق الصوفي عند الشيخ.

الإشكالية:

حاولت هذه الدراسة كشف الغطاء عن حياة الشيخ عبد الواحد يحي؛ ومعالجة بعض الأفكار في فكره الصوفي، وأسباب اختياره للإسلام.

من هنا حاول هذا البحث الإجابة على الإشكاليات الرئيسية التالية :

من هو رينيه غينون المسمى بالشيخ عبد الواحد يحي؟ وما هي الظروف التي أوصلته للإسلام؟ و ما هي معالم الطريق الصوفي عنده وما هي الخدمة التي قدمها للتصوف الإسلامي؟

المنهج:

سلكت في دراستي المنهج الوصفي التحليلي، فقد رأيته مناسبا لمثل هذه الدراسات ،وقد سرت فيه على النحو الآتي:

1- عرض حياة الشيخ من خلال المراجع التي ترجمت له.

2-توثيق آراء الشيخ من كتبه المترجمة إلى العربية.

2- عرض أقوال الشيخ وشرحها والتعليق عليها.

3- عزو الآيات القرآنية والأحاديث النبوية إلى مظانها.

4- وضع الفهارس المتنوعة.

خطة البحث:

جاء هيكل البحث وخطته مكونا من مقدمة وفصلين وخاتمة .

فأما المقدمة فذكرت فيها أهم العناصر من تمهيد للموضوع، و أسباب اختيار الموضوع، وأهميته وأهداف البحث، وإشكاله، ثم منهجه، وخطته، ومصادره، وبعض الصعوبات التي واجهتني.

فالفصل الأول خصصته لذكر جملة من المفاهيم حول التصوف وقسمته إلى مبحثين:

المبحث الأول: التصوف الإسلامي وذكرت فيه مفهوم التصوف وأهميته وتطوره .

والمبحث الثاني: مصادر التصوف الإسلامي.

أما الفصل الثاني، فضمنته مبحثين، الأول تعرضت فيه لترجمة حياة الشيخ: مولده ونشأته وإسلامه، والمبحث الثاني خصصته للتجربة الصوفية عنده واحتوى أربع مطالب.

مصادر البحث:

لقد تنوعت مصادر البحث، من مصادر للتصوف والفكر الإسلامي، وكتب المستشرقين والكتب العقدية وغيرها، واعتمدت أساسا في الوقوف على آراء الشيخ ومنهجه كتابه: التصوف الإسلامي المقارن، وكتابه نظرات في التربية الروحية، واعتمدت على مصادر رئيسية في التصوف الإسلامي، أبرزها الرسالة القشيرية لأبي القاسم وكشف المحجوب للهجويري، واعتمدت أيضا على أهم الدواوين الحديثية كالصحيحين، وغيرهم من الكتب مما سيرد ذكره في فهرس المصادر والمراجع.

الدراسات السابقة:

أما عن الدراسات السابقة، فقد نوقشت مؤخرا بمصر في جامعة عين شمس كلية البنات للآداب والعلوم والتربية بقسم الفلسفة، رسالة دكتوراه في الآداب تخصص فلسفة بعنوان: الشيخ عبد الواحد يحي وتصوفه، للباحثة مريم علي إمحمد التريكي، بإشراف الأستاذ الدكتور: كوكب محمد مصطفى عامر 2017م، حيث تناولت جانبا كبيرا من حياة الشيخ ونقده للحضارة الغربية وحددت معالم الطريق والتجربة الروحية عند الشيخ.

وقد استفدت من هذه الدراسة استفادة بالغة، خاصة في مبحثي الثاني من فصلي الثاني التجربة الصوفية عند الشيخ عبد الواحد يحي، مع العلم أني اطلعت على هذه الدراسة قبل أيام من تقديمي العمل للمناقشة.

التيار الروحي وأزمة العالم الحديث –روني غينون- نموذجا، عطية بن عطية، إشراف: عبد الرزاق قسوم، رسالة ماجستير تخصص فلسفة حديثة بجامعة الجزائر 2010م. وقد أجادت الدراسة في عرض الفكر الفلسفي للشيخ عبد الواحد يحي ونقده للحضارة الغربية، مع أنها لم تول عناية كبيرة لحياة الشيخ وظروف نشأته.

الصعوبات التي واجهت الباحث:

واجهتني في إعداد هذا البحث بعض الصعوبات منها :

تعتبر هذا الدراسة، من أوائل الدراسات الأكاديمية التي تناولت الجانب الروحي الصوفي في فكر عبد الواحد يحي، فكانت الصعوبة عدم توفر أرضية تنطلق منها الدراسة.

عدم توفر الترجمة العربية لكتب الشيخ عبد الواحد يحي في الأسواق وفي المكتبات الجزائرية إلى غاية هذا اليوم وهو ما أخذ مني وقتا للحصول على بعضها .

أغلب الأبحاث والكتب الجادة التي كتبت عن الشيخ عبد الواحد يحي، هي بلغات أجنبية وغير متوفرة محليا.

عدم وجود فضاء علمي ومكتبة متخصصة بمعهد العلوم الإسلامية بجامعة حمه لخضر الوادي.

المنهجية المتبعة:

1- عزو الآيات إلى مواضعها في القرآن الكريم بالطريقة الآتية: [اسم السورة: رقم الآية].

2- تخريج الأحاديث الواردة من مصادرها المتوفرة باختصار وبالطريقة الآتية:

ذكر من رواه من أصحاب المصنفات الحديثية صاحب، الكتاب والباب إن وجدا، رقم الحديث إن وجد، الجزء والصفحة.

3-في توثيق الكتب، أذكر في هامش الصفحة : اسم المؤلّف، المؤلَّف، مع رقم الجزء إن وجد، و رقم الصفحة. وأُخِّرت معلومات النشر إلى قائمة المصادر والمراجع، وذلك وفق الترتيب الآتي: اسم المؤلّف، المؤلَّف، التحقيق إن وجد، رقم الطبعة، دار النشر، مكان النشر، تاريخ النشر.

4- وضع الفهارس المتنوعة.

الرموز والإشارات المستعملة :

الرمز	الشرح
﴿﴾	للآيات القرآنية.
«»	للآحاديث النبوية.
" "	لنقل كلام الباحثين.
...	كلام محذوف.
ت	تعني تحقيق إذا جاء بعدها اسم.
ت	تعني توفي إذا جاء بعدها رقم.
تر	تعني ترجمة.
د	دكتور
د.ت	دون تاريخ طبع.
هـ	للتاريخ الهجري.
م	للتاريخ الميلادي.
../	تعني رقم الجزء من الكتاب.
ص	صفحة

الفصل الأول: مدخل مفاهيمي

المبحث الأول : التصوف الإسلامي مفهومه وأهميته وتطوره

المبحث الثاني : مصادر التصوف الإسلامي

المبحث الأول : التصوف الإسلامي مفهومه وأهميته وتطوره

المطلب الأول : مفهومه

المطلب الثاني : أهميته

المطلب الثالث : النشأة والتطور التاريخي

المبحث الأول : التصوف الإسلامي

المطلب الأول: مفهومه

أولا: الاشتقاق اللغوي:

تباينت أراء الباحثين في مسألة التأصيل اللغوي لكمة تصوف، كل حسب الأدلة التي توافرت عنده، والزاوية التي نظر منها، وقد اجتهد كل فريق بإيراد الحجج للدفاع عن موقفه، ويمكن تلخيص أبرز ما جاء في اشتقاقه في الأقوال التالية:

1- التصوف نسبة إلى أهل الصفة:

أهل الصفة، هم فقراء المهاجرين الذين كان يؤثرهم النبي ﷺ، وفي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه دعاه النبي ﷺ قائلا: «**إلْحَقْ إلى أَهْلِ الصُّفَّةِ فَادْعُهُمْ لي قال: وَأَهْلُ الصُّفَّةِ أَضْيَافُ الْإِسْلَامِ لَا يَأْوُونَ على أَهْلٍ ولا مَالٍ ولا على أَحَدٍ، إذا أَتَتْهُ صَدَقَةٌ بَعَثَ بها إِلَيْهِمْ ولم يَتَنَاوَلْ منها شيئا، وإذا أَتَتْهُ هَدِيَّةٌ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ وَأَصَابَ منها وَأَشْرَكَهُمْ فيها**»[1]. قال الكلاباذي في شأن أهل الصفة:"إنهم كانوا غرباء فقراء مهاجرين أخرجوا من ديارهم وأموالهم..."[2]، وجاء في البحر المديد في تفسير قوله تعالى:﴿**لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيم**﴾ [البقرة: 273]. وقال ابن عجيبة الحسني في تفسير هذه الآية: "وهم أهل الصفة كانوا نحوا من أربعمائة من فقراء المهاجرين يسكنون صفة المسجد يستغرقون أوقاتهم في العلم والذكر والعبادة وكانوا يخرجون في كل سرية بعثها رسول الله ﷺ"[3].

ويرى الهجويري أن أهل الصفة نزلت فيهم بعض الآيات منها قوله تعالى :﴿**وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ**

---

[1]: أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب كيف كان عيش النبي صلى الله عليه وسلم، رقم: 6452، 96/8.

[2] :الكلاباذي ، التعرف لمذهب أهل التصوف، ص: 06.

[3]:ابن عجيبة الحسني ، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، 306/01 .

أَمْرُهُ فُرُطًا﴾[الكهف:28] وكان الرسول ﷺ إذا التقى بأحدهم قال: بأبي وأمي أولئك الذين عاتبني الله فيهم[1]

02- نسبة إلى الصوف:

يقول الطوسي (ت378هـ) :"إن سأل سائل فقال: قد نسبت أصحاب الحديث إلى الحديث ونسبت الفقهاء إلى الفقه، فلم قلت الصوفية ولم تنسبهم إلى حال ولا إلى علم نسبتهم إلى ظاهر اللبسة لأن لبسة الصوف دأب الأنبياء عليهم السلام وشعار الأولياء والأصفياء" [2].

وممن يرى صحة هذه النسبة ابن خلدون في مقدمته ،لأنه يرى أنهم في الغالب مختصون بلبسه لما كانوا عليه من مخالفة الناس في لبس فاخر الثياب [3]

03- التصوف من الصفا:

والمراد صفاء السرائر ونقاؤها، وفي هذا جاء قول بشر الحافي: "الصوفي من صفا قلبه لله، وقيل الصوفي من صفت معاملته"[4]. وقال الهجويري (ت465هـ) في هذا المعنى: "والصفاء في الجملة محمود. جاء في الخبر قوله ﷺ:« **ذَهَبَ صَفاء الدُّنْيَا وَلم يبَقِ إلا كَدَرُهَا** »" [5].

يذكر الهجويري أن هذا المعنى مشتق من :"أما أصله فهو انقطاع القلب عن الأغيار وخلو اليد من الدنيا "[6].

---

[1]: الهجويري، كشف المحجوب ص: 215 .

[2]: أبو نصر السّرّاج الطّوسي، اللّمع، ص:40.

[3] :ابن خلدون، المقدمة، 02 /225.

[4]: الكلاباذي، التعرف لمذهب أهل التصوف، ص 05.

[5]: أخرجه: محمد القاضي التهانوي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، 457/1.

[6]:الهجويري، كشف المحجوب، ص: 227 .

04- نسبة إلى الصف الأول:

جاء في التعرف للكلاباذي (ت380هـ): "وقال قوم إنما سموا صوفية لأنهم في الصف الأول بين يدي الله عز وجل، بارتفاع هممهم إليه، وإقبالهم بقلوبهم عليه ووقوفهم بسرائرهم بين يديه "[1]. أي أنهم يتسارعون، ويتنافسون على الصف الأول، بالتقدم بين يدي الله عز وجل بالطاعات والقربات .

05- نسبة إلى صوفة (الغوث بن مر):

يرى ابن الجوزي في كتابه تلبيس إبليس أن هذا الرجل أول من انفرد بخدمة الله عند بيته الحرام، واسمه الغوث بن مر، فانتسبوا إليه لمشابهتهم إياه في الانقطاع إلى الله، وسموا بالصوفية[2].

06- نسبة إلى سوف اليونانية:

يراد بكلمة سوف باليونانية الحكمة، والفيلسوف يسمى: "بيلا سوبا" أي محب الحكمة، ولما ذهب في الإسلام قوم إلى قريب من رأيهم سموا بأسمائهم وهو ما اختاره ومال إليه أبو الريحان البيروني[3].

ملخص الأقوال :

ملخص هذه الأقوال في تعريف التصوف، يدور حول فكرتين أساسيتين: منهم من ربطها بالاشتقاقات اللغوية لكلمة تصوف ودلالتها، وحاول أن يبين الخيط الرابط بينه وبين المتصوفة. ومنهم من أرجعها إلى التأثير الأجنبي للشعوب والثقافات والأمم، في الحضارة الإسلامية .

[1]:الكلاباذي، التعرف لمذهب أهل التصوف، ص 05.

[2]: ابن الجوزي، تلبيس إبليس، ص: 145-146.

[3]: أبو الريحان البيروني، تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة،ص:27.

ثانيا: المعنى الاصطلاحي

تقول العرب إذا على شأن الشيء وارتفع قدره كثرت تسمياته، كتعدد أسماء السيف وكذا أسماء الأسد، فمن هذا القبيل كثرت تعريفات التصوف، مما جعل الشيخ زروق الفاسي البرنسي(ت899هـ) يعبر عن هذا التعدد في كتابه قواعد التصوف قائلا: "وقد حد التصوف ورسم وفسر بوجوه تبلغ الألفين مرجعها كلها لصدق التوجه إلى الله تعالى، وإنما هي وجوه فيه والله أعلم "[1].

أما عن إمام الطائفة القشيري، فقال في عبارة دقيقة: "وتكلم الناس في التصوف ما معناه؟ وفي الصوفي من هو؟ فكل عبر بما وقع له"[2]. أي أن التصوف تجربة باطنية جوانية لا يعرف حقيقتها إلا صاحبها، وفي هذا المعنى يقول الشاعر:

ما يعرف الشوق إلا من يكابده ولا الصبابة إلا من يعانيها[3]

وسنذكر في ما يأتي بعض من التعاريف لرجال التصوف[4] :

1- أبو محمد الجريري(ت311هـ): التصوف الدخول في كل خلق سني والخروج من كل خلق دني.
2- الجنيد (ت465هـ): هو أن يميتك الحق عنك ، ويحييك به.
3 - سمنون المحب(ت298هـ): التصوف ألا تملك شيئا ولا يملكك شيء.
4 - رويم (ت303هـ) : استرسال النفس مع الله تعالى على ما يريده .
5 - الكتاني(ق 8هـ): التصوف خلق فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الصفاء.

---

[1]: زروق الفاسي، قواعد التصوف، ص:21.

[2] :القشيري، الرسالة، ص: 312.

[3] :محمد بن بختيار المعروف بالأبله العراقي، الصفدي، الوافي بالوفيات، 176/2.

[4] : هذه التعاريف :الرسالة القشيرية ،ص : 312-313 .

ملخص التعاريف:

إن المتفحص لهذه التعاريف، يجد أنها تدور حول فكرة أساسية جوهرية، وهي الدرس الأخلاقي في الإسلام، فهي تصب في مشكاة النبوة، جاء في الحديث عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : «**إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ صالح الأَخْلاقِ**».[1]

تدعو هذه التعاريف، المريد ليسمو بالنفس ويزكيها، وهي كذلك تحاول التأسي بخلق الإنسان الكامل محمد ﷺ، الذي وصفه المولى عز وجل بقوله:﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾[القلم:04].

[1]:أخرجه البخاري، في الأدب المفرد، رقم : 273، ص:118.

المطلب الثاني :أهميته

إن التصوف علم نقيس به حال النفس ومرتبتها، وهو يحدد معيار التزكية وسلم السمو الأخلاقي، من هنا تظهر لنا أهميته :

-فهو متعلق بالنفس البشرية وانتقالاتها الكبرى، من النفس الأمارة بالسوء إلى النفس المرضية، وهو كفيل بأن يتكفل بتطبيب أمراض القلوب من حسد، وعجب، وكبر، ورياء، ونفاق، فيصيرها محبة، وتواضع، وذل، وخضوع، وإخلاص، قال تعالى:﴿**وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا** ﴾[الشمس:7-10]

-إن التصوف الإسلامي هو صمام الأمان، وغذاء الروح في وجه المادية والانجرار وراء الشهوات والملذات التي فتحت على مصراعيها، خاصة في هذا العصر، وهو الحاجز الأخير في وجه الانحطاط والانفلات الأخلاقي، خاصة في انتشار العولمة.

-التصوف الإسلامي هو العلاج لداء الجفاء والتبلد اللذين أصابا المجتمع الإسلامي، وأمسى ساريا في جميع جوانب الحياة، وهو من أمراض القلوب . جاء في الحديث النبوي الشريف وقال صلى الله عليه وسلم: " **إن في الجسد مُضْغَة، إذا صَلُحَت صلح لها سائر الجسد، وإذا فسدت فسد لها سائر الجسد، ألا وهي القلب** "[1] والعلم الكفيل بمعالجة وتطهير هذه المضغة هو التصوف الإسلامي. وفي بيان أهمية التصوف الإسلامي يقول محمد زكي إبراهيم :" وقد امتاز التصوف بالدعوة، والجهاد، والخلق، والذكر، والفكر، والزهد في الفضول، وكلها مكونات التقوى أو التزكى، وبهذا يكون التصوف مما جاء به الوحي، ومما نزل به القرآن، ومما حثت عليه السنة، فهو مقام الإحسان، ومقام الربانية الإسلامية.[2]

- والتصوف يحقق للإنسان وجوده وماهيته التي خلقة الله من أجلها :﴿**وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ [الأنعام:165]

---

[1]:أورده: ابن تيمية، الإيمان، تخريج الالباني،11/1.

[2]:محمد زكي إبراهيم، أبجدية التصوف الإسلامي، ص: 14.

المطلب الثالث: النشأة والتطور التاريخي

مر التصوف الإسلامي بمراحل وأطوار عدة، وهذا راجع لحركة الزمان وتغير الأحوال والأحداث التي مرت بها الأمة العربية الإسلامية، وما حملته تلك الأحداث من تغييرات جذرية على واقع المسلمين، ونجد توصيف هذا في حديث النبي عليه الصلاة والسلام، عَنْ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ :«**خَيْرُ أُمَّتِي الْقَرْنُ الَّذِينَ يَلُونِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ**»[1]

فكغيره من العلوم شهد التصوف تطورات كبيرة، وقد اجتهد الباحثون في تحديد مراحل لتطوره، ولعل من أبرز هاته المراحل :

أولا : عصر النبوة والرسالة :

لقد دعت نصوص القرآن الكريم منذ بداية التنزيل إلى انتهاءه، إلى كل أعمال البر والإحسان، يقول المولى عز وجل:﴿**وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ**﴾[الرعد:22] وقد اجتهد الصحابة عليهم الرضوان، في تطبيق هذه الأحكام، والسعي إلى نيل الأجر والثواب قال تعالى:﴿**وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ**﴾[آل عمران:133] وكان لهم الرسول في ذلك خير قدوة :﴿ **هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ** ﴾ [الجمعة:02]

فكان عليه الصلاة والسلام يجتهد، وجاء في الحديث عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى حَتَّى انْتَفَخَتْ قَدَمَاهُ، فَقِيلَ لَهُ: أَتَكَلَّفُ هَذَا؟ وَقَدْ غَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، فَقَالَ: «**أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا**»[2].

كل هذه النصوص وغيرها الكثير ساهمت في إرساء أصول التصوف الإسلامي، وتعتبر هذه المرحلة، أنقى وأسمى مراحل التصوف، لأن ذلك الرعيل ارتوى مباشرة من فيض النبي عليه

[1] : أخرجه: مسلم، الصحيح، رقم : 2533، 1962/4.

[2] : أخرجه: مسلم، الصحيح، رقم : 2819، 2171/4.

الصلاة والسلام. ويقول محمد زكي إبراهيم معبرا عن هذا: " وبهذا المعنى تستطيع أن تستيقن بأن التصوف قد مورس فعلا في العهد النبوي، والصحابة والتابعين ومن بعدهم."[1]

ثانيا : عصر التابعين (الزهد)

يحدد أبو الوفا التفتازاني هذه المرحلة بكونها واقعة في: "القرنين الأول والثاني الهجريين، فقد كان أفراد من المسلمين أقبلوا على العبادة بأدعية وقربات، وكانت لهم طريقة زهدية في الحياة تتصل بالمأكل والملبس والمسكن، فقد اجتهدوا طلبا للآخرة فآثروا لأنفسهم هذا النوع من حياة الانعزال، والتبتل في الخلوات، والانعكاف على الطاعات وترك الدنيا وملذاتها." [2]

كما يصف علي سامي النشار هذه الحياة قائلا: "إننا نرى صورة العبادة في الأسراب، كان البكاؤون الخائفون يلجؤون إلى بعض الأسراب، يأوون فيها للعبادة ويبكون، وكان من هؤلاء صفوان بن محرز، وكان يكتفي برغيف عيش، وشربة كوز ماء، ثم يردد بعد أن يفطر عليها: على الدنيا وأهلها العفاء. وكان إذا تحدث أو قص يرق القوم وتسيل الدموع"[3]

فحال القوم في هذه المرحلة، كان زهدا وابتعادا عن الدنيا، وانغماسا وتسابقا على الطاعات.

ويذكر أن صفوان بن محرز أثر كثيرا في الحسن البصري، فكان الحسن يقول: "لقيت أقواما كانوا فيما أحل الله، أزهد منكم فيما حرم الله، وقد لقيت أقواما كانوا من حسناتهم أشفق أن لا تقبل منهم من سيئاتهم، ولقد صحبت أقواما كان أحدهم يأكل على الأرض، وينام على الأرض، منهم صفوان بن محرز."[4]

وسئل الحسن البصري(ت110هـ) عن أنفع العلم، عاجلا وآجلا ، فقال: " التفقه في الدين، فإنه يصرف إليه قلوب المتعلمين، والزهد في الدنيا، فإنه يقربك من رب العالمين، والمعرفة بما لله عليك، يحويها كمال الإيمان."[5] و يعتبر الحسن البصري، ورابعة العدوية(ت185هـ) من أهم أعلام هذه المرحلة .

---

[1] :محمد زكي إبراهيم، أبجدية التصوف الإسلامي، ص: 13.

[2]:أبو الوفا الغنيمي التفتازاني ، مدخل إلى التصوف الإسلامي، ص : 17.

[3]:علي سامي النشار، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، 127/3 .

[4]:المرجع نفسه ،127/3 .

[5]:الطوسي، اللمع، ص : 194 .

ثالثا: التصوف الفلسفي

ظهر هذا النوع من التصوف في القرن الرابع الهجري وما بعده، ويذكر أنه وجد مجموعة أخرى من شيوخ التصوف الذين مزجوا تصوفهم بالفلسفة، فجاءت نظرياتهم بين لاهي تصوف خالص، ولا هي فلسفة خالصة، نذكر من هؤلاء السهروردي المقتول (ت549هـ)، ومحي الدين بن عربي (ت638هـ)، و ابن سبعين المرسي (ت669هـ).[1]

وقد لقي هذا النوع من التصوف انتقادات كبيرة، من داخل وخارج الدائرة الإسلامية، وهذا لامتزاج أفكارهم وكلامهم بالفلسفة اليونانية، وكذا معتقدات وديانات الشرق الأقصى، كالديانة الهندية، والبوذية، وحتى الفارسية.

ولعل أغلب من نسب التصوف إلى العامل الخارجي، يحتجون بكلام وأراء بعض من هؤلاء المتصوفة المتفلسفة.

يعلق علي سامي النشار على هذا قائلا :" لا أنكر أبدا أن العوامل الفكرية الخارجية قد أثرت في التصوف في مراحل متعددة، ولكن لا أستطيع أبدا كباحث محايد أن أنكر، نشأة حياة روحية أصيلة عند المسلمين منذ البدء تستند على مصدريهم الكبيرين الكتاب والسنة . "[2]

[1]:أبو الوفا الغنيمي التفتازاني، مدخل إلى التصوف الإسلامي، ص: 19 .

[2]:سامي النشار، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، ص: 58 .

رابعا: انتشار الطرق الصوفية :

بعد تلك المراحل الثلاث، جاءت فترة العمل المنظم، وتشكلت الجماعات، فظهرت المدارس والطرق الصوفية، والتف المريدون حول الشيوخ، واختاروا لهم أذكارا مخصوصة، بكيفيات مخصوصة، وبأعداد مخصوصة، و في أوقات مخصوصة، وأسسوا أماكن للعبادة، صارت تعرف بالزوايا، فكانت هاته الأخيرة، بيوت النساك و العباد، ورمزا للتبتل والزهد، وملاذا ومأوى للمحتاج أو عابري السبيل.

والملاحظ أن هاته الطرق ارتبطت بكبار شيوخ التصوف، و تسمت بأسمائهم فانتشرت في جميع العالم الإسلامي، ومن أوائل هاته الطرق ظهورا وأكثرها انتشارا :

الطريقة القادرية :

مؤسسها عبد القادر الجيلاني، المولود بـ 470 هـ بالعراق، والمتوفي سنة 571هـ، وهو مُحي الدين أبو محمد عبد القادر الجيلاني، بن أبي صالح موسى جنكي دوست، وأمه هي أم الخير فاطمة بنت السيد عبد الله الصومعي الزاهد، ينتهي نسبه من جهة أبيه إلى الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام،ومن جهة أمه إلى الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام [1]

الطريقة الشاذلية :

مؤسسها أبي الحسن الشّاذلي، المولود بـ591هـ والمتوفي سنة 656 هـ، وهو على بن عبد الله بن عبد الجبار بن يوسف أبو الحسن الهذلي الشاذلي، وكان مولده في بلاد غمارة بريف المغرب، من أشهر تلاميذه أبو العبّاس المرسي، وتوفي بحميثرا من صحراء عيذاب بصعيد مصر [2].

[1]:ابن الملقّن، طبقات الأولياء، 01/ 246.

[2]:الكوهن، طبقات الشّاذليّة الكبرى، ص 19- 59 .

الطريقة الرفاعية :

مؤسسها أحمد الرّفاعي، المولود بـ 500 هـ والمتوفي سنة 578هـ، وهو أبو العباس أحمد بن أبي الحسن على، الرفاعي نسبة، ابن يحيى بن حازم بن على بن ثابت بن على بن الحسن الأصغر ابن المهدى بن محمد بن الحسن، بن يحيى بن ابراهيم بن الإمام موسى الكاظم بن الإمام جعفر الصادق بن الإمام محمد الباقر بن الإمام على زين العابدين بن الإمام الشهيد الحسين بن الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه [1].

تعتبر هذه الطرق الثلاث، من أوائل الطرق الصوفية ظهورا. وتواصلت هذه الطرق، في الظهور والانتشار، عبر تاريخ الأمة الإسلامية، فكانت بمثابة المؤسسة، والحصن الحصين لمنهج تربية النفس وتزكيتها، الذي تكفل به رجال وأساطين التصوف الإسلامي، فعملوا على تربية وتوجيه السالكين، وألفوا المصنفات والكتب، نذكر من ذلك صنيع حجة الإسلام أبي حامد الغزالي ت(505) في موسوعته إحياء علوم الدين.

[1]:ابن الملقّن، طبقات الأولياء، 01/ 93-94 .

المبحث الثاني : مصادر التصوف الإسلامي

المطلب الأول : المصادر الأجنبية

المطلب الثاني : المصادر الداخلية

المبحث الثاني : مصادر التصوف الإسلامي

المطلب الأول : المصادر الأجنبية

اختلف الباحثون قديما وحديثا في تقصي مصدرا للتصوف الإسلامي، وجاءت آراؤهم متباينة سواء ا المفكرين من داخل الدائرة العربية الإسلامية، أم المستشرقين، ويمكن أن نقسمهم إلى قسمين، قسم يرجع التصوف الإسلامي إلى مصادر داخلية وقسم يرجعها إلى أجنبية.

القائلين بأن مصادر التصوف الإسلامي أجنبية :

اختلفت دوافعهم فمنهم من قاده البحث العلمي والحقيقة، ومنهم من كان هدفه النيل والطعن في الدين، وتبنى هذا الرأي أغلب المستشرقين و بعض من تبعهم من الشرقيين.

وقسم علي سامي النشار أراء هؤلاء وأرجعها كل حسب مدرسته الأوربية قائلا : "إن الأبحاث التي قامت بها المدارس الأوربية في دراسة التصوف الإسلامي، اتجهت إلى تتبع مصادر التصوف في مختلف الثقافات التي أحاطت بالمسلمين، ولكنها تجنبت أو لم تحاول النفاذ إلى أعماق المسالة. فالمدرسة الإنجليزية حاولت أن تتلمس أصول التصوف في المسيحية وفي الأفلاطونية المحدثة، وحاولت المدرسة الفرنسية أن تبحث عن أصله في المسيحية، والألمانية حاولت خلال تحليلاتها الفيلولوجية أن تبحث عن أصله في البوذية وفي المدارس الإيرانية، كذلك فعلت المدرسة الإسبانية ."[1]

إن أغلب تحليلات هؤلاء الباحثين جاءت مرتبطة بدواعي تأثير البيئة المحيطة بالأمة الإسلامية: "إننا لا نكون مخطئين لو قلنا أن الصوفية بأسلوبهم الخاص في التفكير وبمقتضى ظروف وأحوال خاصة واجهوها استنبطوا في بادئ الأمر من القرآن والإسلام، وأضافوا إليها بعد ذلك بالتدريج نظريا وعمليا أشياء نتيجة لي وقوعهم تحت تأثير الأوضاع والأحوال المختلفة فالمصادر الأجنبية المهمة للتصوف هي: الديانة المسيحية والرهبنة ، والأفكار الهندية ، والإيرانية والبوذية" [2]

---

[1]:علي سامي النشار، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، 3 / 29 .

[2]:قاسم غنى، تاريخ التصوف في الإسلام، ص: 20 .

خلاصة الرأي الأول :

على حسب زعمهم أن التصوف الإسلامي يمكن أن يكون نتاج عمل كل الظروف والثقافات الإنسانية المحيطة ماعدا البيئة العربية الإسلامية .

يعلق عبد الله الشاذلي ويقول: "تقوم هذه الشبه، على أساس أن التصوف الإسلامي ساهم في تكوينه وتطويره عدة مؤثرات خارجية، أهمها تصوف أهل الكتاب، وما تحويه الفلسفات الهندية والفارسية والأفلاطونية الحديثة، وتحكم أنصار هذا الاتجاه نزعات خاصة أو ميول شخصية أو افتقار لطول بحث وعمق تحليل وسعة نظرة... فالتصوف في نظر هؤلاء حركة تلفيقيه تمتزج فيها عناصر من تيارات مختلفة."[1]

ويمكن أن نعد المستشرق غولدتسيهر* على رأس المعادين للإسلام الذي أراد التشكيك والطعن في الدين في كل أقسامه حيث يقول عن مصدر التصوف الإسلامي :"وقد سبق أن بينا أن هذا التصور للحياة النسكية مستمد من فكرة الرهبنة المسيحية التي يتفق مثلها الأعلى مع المبادئ التي عرضناها اتفاقا يكاد يكون حرفيا."[2] ويقول أيضا : "ونخلص من هذا إلى بيان هذه الحقيقة، وهي أن الفكرة الدينية المسماة بالزهد التي صادفت الإسلام السني، والتي لا تتفق مع السمات المألوفة التي نعرفها في التصوف الإسلامي نكشف عن أثار قوية تدل على تسرب المثل الأعلى للحياة عند الهنود إلى الإسلام."[3]

---

[1]:عبد الله الشاذلي ، موسوعة التصوف الإسلامي1 الزهد الإسلامي ، ص : 377 – 378 .

*: اجناس جولدتسيهر، مستشرق مجري الأصل، امتاز بآرائه المعادية للإسلام،(1850-1921)، من كتبه :مذاهب المسلمين في تفسير القرآن، العقيدة والشريعة في الإسلام.

[2]:اجناس جولدتسيهر ، العقيدة والشريعة في الإسلام ، ص : 152.

[3]:اجناس جولدتسيهر ، المرجع نفسه، ص : 159 .

يمكن أن نقسم المستشرقين إلى صنفيين :"صنف بحث التصوف الإسلامي بعمق، لكن لم تخل دراسته من بعض التعصب، أمثال لويس ماسينيون وهنري كوربان و نيكولسون و أربري و صنف أخر كتب بعمق أكبر، وهي بالغة الأهمية لفهم التصوف فهما صحيحا وأذكر بهذا الشأن خاصة روني غينون و تيتوسبوركاردت اللذين أرجعا التصوف إلى أصله الإسلامي."[1]

المطلب الثاني : المصادر الداخلية :

القائلين بأن مصادر التصوف الإسلامي داخلية :

يقول محمد إقبال: "ليس من الصواب أن نرجع كل ظاهرة في بيئة ما إلى عوامل خارجة عنها فنهمل بذلك العوامل الداخلية ، فإنه لا فكرة من الأفكار ذات قيمة يكون لها سلطان على نفوس الناس ، إلا إذا كانت تمت إليهم بصلة ، فإذا جاء عامل خارجي أيقضها ، ولكنه لا يخلقها خلقا."[2]

وهذا رأي أغلب الباحثين المسلمين على تعدد مشاربهم وتنوع اختصاصاتهم من صوفية وفقهاء ومحدثين وفلاسفة ومؤرخين وغيرهم، فهم يرجعون أصل التصوف إلى القرآن الكريم والحديث النبوي وسير الصحابة الكرام.

وهذا انطلاقا من نصوص قرآنية ونبوية كثيرة، دعت إلى فضائل الأعمال، منها قوله تعالى: ﴿**يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ**﴾[آل عمران:114-115]، وقوله تعالى:﴿**وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾[المزمل:20] وقوله تعالى:﴿**وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾ [البقرة:110] وقوله تعالى: ﴿**وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾[الحشر:09]

---

[1]:محمد بن بريكة، التصوف الإسلامي من الرمز إلى العرفان، ص: 46 .

[2]:أبو العلا عفيفي، التصوف الثورة الروحية في الإسلام، ص: 54 .

وآيات أخرى دعت إلى ترك الشهوات، و عدم الانغماس في الدنيا والزهد في ملذاتها، قال تعالى:﴿**وَمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ** ﴾[العنكبوت:64]

وخاطب المولى عز وجل نبيه الكريم، ودعاه إلى عدم النظر إلى ملذات الدنيا الزائلة، وحثه على الاجتهاد في العبادة، فقال: ﴿**وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ** ﴾[طه:131-132].

وحذر المولى عز وجل عباده المؤمنين من الاغترار بالدنيا، فقال: ﴿**اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ** ﴾ [الحديد:20]، فبعد أن نهاهم عن السعي وراء حطام الدنيا، جاء الخطاب في نفس الموضع، آمرا إياهم إلى السعي خلف الفوز الحقيقي، وهو فلاح الآخرة، فقال: ﴿**سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ**﴾[الحديد:21]. أما عن الأحاديث التي دعت الى الزهد في الدنيا فكثيرة، منها ما جاء عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: نام رسول صلى الله عليه وسلم على حصير فقام وقد أثر في جنبه، فقلنا يا رسول الله لو اتخذنا لك وطاء فقال: «**مالي وما للدنيا ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها**»[1]

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَنْكِبِي فَقَالَ: «**كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ**»[2]

[1]:صحيح: رواه الترمذي في كتاب الزهد، باب:44، رقم: 2377، 588/4.

[2]:صحيح: رواه البخاري، كتاب الرقاق، رقم: 6416، 233/11.

يقول أبو الوفا التفتازاني: "استمد الصوفية من القرآن والسنة ومن أحوال الصحابة وأقوالهم ، على أن أحوال الصحابة وأقوالهم لم تكن لتخرج عن نطاق الكتاب والسنة وبذا يكون المصدران الأساسيان للتصوف في الحقيقة هما القرآن والسنة."[1]

وقد وافق هذا القول عدد من المستشرقين، ولكن منهم من أضاف أنه بعد نشأة التصوف من مصادر إسلامية تأثر ببعض العوامل الأجنبية نذكر منهم :

سبنسر ترمنجهام*: حيث يقول:"كان التصوف تطورا طبيعيا منبثقا من هذه الاتجاهات الواضحة في صدر الإسلام واستمد في الإلحاح عليما كوجه أساسي من الطريقة، فهؤلاء الساعون نحو الاتصال المباشر بالله جل جلاله قد أكدوا أن الإسلام لم يكن محصورا داخل تشريع ديني موجه وكان هدفهم هو اكتساب الإدراك الأخلاقي ...كانت الصوفية تطورا طبيعيا بداخل الإسلام تدين بالقليل لمصادر غير إسلامية- إلى أن يصل به الكلام- ويقول : فإننا يمكن أن نعتبره بحق وكما فعل الصوفية أنفسهم العقيدة الداخلية الباطنية للإسلام، والسر الكامن خلف القرآن."[2]

هنري كوربان*:"والتصوف باعتباره شاهدا للدين الصوفي في الإسلام، هو ظاهرة روحية لا تقدر، فهو أولا وقبل كل شيء إثمار لرسالة النبي الروحانية وجهد مستمر لعيش أنماط الوحي القرآني عيشا شخصيا عن طريق الاستبطان فالمعراج النبوي، الذي تعرف به الرسول على الأسرار الإلهية يظل النموذج الأول الذي حاول بلوغه جميع المتصوفين واحد بعد الأخر."[3]

---

[1]: أبو الوفا الغنيمي التفتازاني، مدخل إلى التصوف الإسلامي، ص : 38 .

*: سبنسر ترمنجهام: مستشرق،إنجليزي(1904-1987)، من أعماله: الفرق الصوفية في الإسلام، الإسلام في الحبشة.

[2] :سبنسر ترمنجهام ، الفرق الصوفية في الإسلام، ص : 23 – 24 .

*: هنري كوربان: فيلسوف ومؤرخ فرنسي، ولد و توفي بباريس(1903-1978)، تخصص في دراسة الإسلام، من أعماله: تاريخ الفلسفة الإسلامية، الخيال المبدع في مؤلفات ابن عربي.

[3]: هنري كوربان، تاريخ الفلسفة الإسلامية، ص 283 .

نيكلسون* :"يبرهن البحث الحديث، على أن أصل الصوفية لا يمكن أن يرد إلى سبب واحد محدود ومن هنا لم يرتض باحث منصف، هذه التعميمات الجارفة من أمثال أنها رد فعل للعقل الأري تجاه الدين السامي الفاتح أو أنها ليست إلا نتاجا خالصا للفكر الفارسي، أو الهندي."[1]

ويضيف قائلا : "ولنعد حينا إلى القرآن ، بذلك المحك الذي لا يخطئ والذي يجب أن يوزن به كل رأي أو علم إسلامي هل نجد فيه أصولا للتصوف ؟"[2]

وبعد بحث ودراسة لبعض آيات القرآن يؤكد ذلك قائلا: "فإني لا أكاد أجد عندي القبول للرأي الذي يذهب إلى أن ليس في القرآن أصل للتفسير الصوفي للإسلام. وقد أبان ذلك أتم البيان الصوفية الذين عالجوا القرآن."[3]

ماسينيون*:"فالحق أننا نلاحظ منذ ظهور الإسلام أن الأنظار التي اختص بها متصوفة المسلمين نشأت في قلب الجماعة الإسلامية نفسها أثناء عكوف المسلمين على تلاوة القرآن والحديث وتقرئهما ...على أنه إذا كانت مادة التصوف إسلامية عربية خالصة فما لا يخلو من فائدة أن نتعرف على المحسنات الأجنبية التي أدخلت عليه ونمت في كنفه."[4]

ويمكن أن تبرر بعض أقوال المستشرقين في تلك الفترة لأن أعمالهم كانت بواكير الدراسات ولم تكن المعالم واضحة بعد ولم يستوفى البحث درسا، توضح ماري شمل* هذه الفكرة : "لذلك اتفق معظم العلماء على أن التصوف نبة غريبة في صحراء الإسلام لأن حقيقة الدين الإسلامي

---

[1]:رينولد هنري نيكلسون، الصوفية في الإسلام، ص:18 .

*:رينولد هنري نيكلسون، مستشرق،إنجليزي (1868-1945)، تخصص في دارسة الأدب الفارسي والحضارة العربية، بجامعة كمبردج، من أعمال: منتجات شمس تبريز جلال الدين الرومي، الصوفية في الإسلام.

[2]:رينولد هنري نيكلسون، المرجع نفسه، ص:31 .

[3]: لمرجع نفسه، ص :32

*:.لويس ماسينيون: مستشرق فرنسي (1883-1962)، تحصل على دكتوراه بعنوان آلام الحلاج من جامعة السربون، أغلب أعماله ومقالاته حول الفكر والتصوف الإسلامي.

[4]:ماسينيون ومصطفى عبد الرازق، التصوف، ص: 48 .

*:آنا ماري شيمل: مستشرقة ألمانية (1922-2003)، اهتمت بالأديان الشرقية وخاصة بالتراث الصوفي، أهم كتبها الأبعاد الصوفية في الإسلام.

لم تكن معروفة بشكل جيد ولم تقدر حق قدرها، فلم يكن أحد يستطيع أن يتصور أن تخرج من عباءة الإسلام حركة روحية سامية."[1]

يقول فيصل بدير عون: "نحن نرى أن الدين الإسلامي وإن كان دينا جديدا فإنه لم يكن هدما لا لكل الديانات السابقة عليه ولا لكل الثقافات"[2].

خلاصة المبحث :

يظهر من خلال البحث وتتبع أراء الفريقين، ومقارنة بعضها ببعض، وتبيين الصحيح من الخاطئ منها: أن التصوف الإسلامي مصدره داخلي، نشأ وتطور داخل الحضارة الإسلامية، حتى وإن استعمل مصطلحات من خارج التداول العربي؛ فهو كغيره من العلوم –الفقه وأصول الفقه وعلم الكلام الفلسفة الإسلامية...– كلها استعملت مصطلحات ومعاني علمية أخرى مستمدة من المنطق، وفلسفات انتشرت في ذلك الزمن، وهذا نتيجة تطور العلوم و الاحتكاك بالحضارات والثقافات الأخرى.

.

[1]:آنا ماري شيمل، الأبعاد الصوفية في الإسلام، ص: 13 .

[2]:فيصل بدير عون، التصوف الإسلامي الطريق والرجال، ص: 60 .

الفصل الثاني: الشيخ عبد الواحد يحي ومعالم الطريق الصوفي

المبحث الأول : حياة الشيخ عبد الواحد يحي

المبحث الثاني : التجربة الصوفية عند الشيخ عبد الواحد يحي

المبحث الأول : حياة الشيخ عبد الواحد يحي

المطلب الأول : اسمه ومولده

المطلب الثاني : نشأته

المطلب الثالث :حكايته مع الإسلام

المبحث الأول : حياة الشيخ عبد الواحد يحي

المطلب الأول : مولده واسمه

كان من قدر الشيخ عبد الواحد يحي أن يلد في قلب أوربا، في زخم الحضارة الغربية، فكان مولده كما يقول الباحثون :في بلدة بلوا الفرنسية في 15 نوفمبر 1886 من أسرة فرنسية كاثوليكية محافظة كانت تعيش في يسر ورخاء، فقد كان والده مهندساً ذا شأن. وحياته لا تتسم بحوادث معينة، فقد كان هادئا ووديعاً. وكانت تلوح عليه منذ الطفولة مخايل الذكاء، بدأ تعليمه في إقليمه الذي نشأ فيه، وكان دائماً متفوقاً على أقرانه. وانتهى به الأمر سنة 1904 إلى نيل شهادة البكالوريا بعد أن نال جوائز عدة كانت تمنح للمتفوقين وسافر إلى باريس لتحضير الليسانس ، ومكث عامين في الدراسات الجامعية .[1]

أما عن اسمه فقد ورد في : شهادة الميلاد (المعمودية): Guénon René-Jean-Marie-Joseph؛ وهي مؤرخة في 15 تشرين الثاني من العام 1886 للميلاد في مدينة Blois، من إقليم الLoire الفرنسي. واسمه في شهادة الوفاة "عبد الواحد يحيى"؛ وهي مؤرخة في 8 كانون الثاني من العام1951في مدينة القاهرة. هكذا كان قَدَرُه: أن يولد مسيحيًّا كاثوليكيًّا، وأن يموت مسلمًا؛ أن يولد في فرنسا، وأن يموت ويُدفَن في مصر.[2]

يبدو لي أن الشيخ اختار هذا الاسم مخاطبا به الإنسان والفكر الإنساني وخاصة الغربي قائلا: ليست هناك من فكرة أرقى وأسمى من معنى توحيد الله ونفي الشريك عنه وفي المقابل لن يصمد ولن يحي أي فكر تنصل وتنكر لهذا الأصل . فقد كان رحمه الله يحب أن ينادى بهذا الاسم.

---

[1]:عبد الحليم محمود، قضية التصوف المدرسة الشاذلية، ص: 288 .

[2]:نهاد خياطة ،رينيه غينون والبحث عن المنقول الحقيقي، http://www.maaber.org/issue_february06/spiritual_traditions2.htm، شباط 2006،تاريخ الاطلاع: 2018/04/10 .

المطلب الثاني :نشأته

أولا : البيئة العامة

كانت نشأة رينيه غينون في قلب الحضارة الغربية، فهذه المرحلة مع بدايات القرن العشرين كانت مرحلة الفلسفات الكبرى في الغرب، و التي بدأت مع ديكارت قد انتهت و بدأت مرحلة جديدة افتتحها الإنجليزي جورج مور بفلسفته التحليلية نحو تفكيك ما قد تراكم من إرث فكري ، دون أن تقدم هذه التجربة أي شيء من يقين أو طمأنينة فكرية. و قد أدى هذا الحال بالكثيرين للبحث عن اليقين في مصادر أخرى ، كانت مجموعة من الجمعيات السرية التي تدعي امتلاكها لحقائق ميتافيزيقية و لطرائق المعرفة الكشفية [1]

تربى غينون في بيئة كاثوليكية محافظة حيث أنه :تتلمذ على اليسوعيين ثم انتقل في شبابه إلى باريس لدراسة علم الرياضيات بكلية رولين. إلا إنّه ما لبث أن انصرف بهمَّته عن الدراسات الأكاديمية فانقطع عن الدراسة الجامعية عام 1905م.

وانغمس غينون في عدد من الحركات الباطنية الفرنسية وصار عضوا بارزا في عدة منظمات سرية والتي كان من بينها الجمعيات الثيوصوفية والروحانية والماسونية و"الغنوصية". وفي عام 1909، قام غينون بتأسيس مجلة باطنية بعنوان "الغنوص" أي "العرفان". وقد دامت تلك المجلة لمدة تربو على سنتين وحوت معظم كتابات غينون في تلك الفترة الزمنية. فقد كانت تلك هي الفترة التي شرع خلالها غينون في دراسة الهندوسية والطاوية، وربما الإسلام، دراسةً جادة ومستفيضة .[2]

لم تكن الحياة المادية إثر الثورة الصناعية في أوروبا، وفي فرنسا على وجه الخصوص، دافعاً وحيداً لأن يتوجّه الباحث رينيه غينون صوب الشرق بمفرداته وتراثه، إذ كان يمقت صراعات الكنيسة مع الحداثة اللتين انهمكتا في توجيه الاتهامات لبعضهما البعض، وتركتا جيلاً ينتمي إلى مفردات

---

[1]: محمد عادل شريح : رينيه غينون والتقليدية التكاملية، http://almultaka.org/site.php?id=362، تاريخ النشر : 25-04-2005 ،تاريخ الاطلاع :2018/04/10 .

[2]: مقال نشر في موقع مركز الفكر الغربي ، تحت اسم : رينيه غينون http://www.cwestt.com/encyc/Ren%C3%A9_Gu%C3%A9non، تاريخ الاطلاع : 2018/04/10 .

الميتافيزيقا والمباحث الوجودية حائراً من أمر كلا الفريقين، الذين قسّما شكل الحياة في أوروبا إلى قسمين يعادي كلاهما الآخر. وخارج دائرة أوروبا كان غينون الشاب في ذلك الوقت لا يمنح ثقته أيضاً للمستشرقين، الذين لا يرون في الشرق سوى قشرته الخارجية، لذا كان شكل الحياة في أوروبا في ذلك الوقت طارداً، ومحفّزاً لباحث شاب أن يذهب بأدواته وعدّته المعرفية نحو الشرق .[1]

ثانيا : المسيرة العلمية

من خلال هذا المبحث يتبين أن الشيخ كان يناشد الحقيقة في بحثه، فلم يترك ديانة أو ملة أو نحلة سماوية كانت أو بشرية إلا تتبعها وعرف أسسها وصبر غورها، وبين الجانب الإيجابي والسلبي فيها، فبعد نقده للديانة البنت المسيحية وصراعه مع الآباء الكنسيين، وتبيين عقائدهم الغنوصية المتناقضة وكشف أسرار الأم اليهودية وضلالها، وما تحتويه هذه الديانات من أفكار عدائية زائفة، متعالية عن باقي البشر، والتي كانت تعتبر ديانات الشرق الأقصى أشباه الديانات.

انتقل إلى التعرف تعرف على : الهندوسية خاصة من خلال مسار ترقي في المستويات المعرفية initiatic lineag في طريقة الشانكاراشارياShankarâchârya، والطاوية Taoism. كما انه دخل عام 1910م. في الباطنية الإسلاميةIslamic esoterism.[2] كان على غينون، طوال الحقبة الممتدة بين العامين 1906 و1908، أن يتحمل الأفكار الغامضة – وأحيانًا المشوشة – التي كانت تصدر عن هؤلاء الناس و في العام 1909 تمكن مع أحد الباحثين من إنشاء مجلة باسم الغنوصla Gnose، ظلت تصدر حتى شباط من العام 1912. قدمت الغنوص نفسها على أنها "الناطق الرسمي باسم الكنيسة الغنوصية العالمية". وبفضل هذه المجلة راح غينون يعمّق الأفكار التي كان مشغوفًا بها، وقُدِّر لها أن تظل

[1]:إيمان عادل : رحلة رينيه غينون ..الشرق حينما كان خلاصا،https://www.alaraby.co.uk/culture/2017/1/12،تاريخ النشر: 12 يناير 2017،تاريخ الاطلاع:2018/04/10 .

[2]:أحمد يسري حسن، الاسلام الوسطي الجميل والديانة الصوفية الباطنية العالمية، https://http7159.com/2016/10/16/ ، أكتوبر 16، 2016 .تاريخ الاطلاع :2018/04/10 .

الأسُس التي اعتمد عليها في أبحاثه الميتافيزيقية المعمقة اللاحقة. لكنه بعد مدة وجيزة من ظهورها، جعل منها امتدادًا لمجلة الطريق la Voie، وهي مجلة ظهرت في الأعوام من 1904 حتى 1907، وكانت بإدارة Léon Champrenaud، الذي كان اعتنق الإسلام وتسمَّى متصوفًا باسم "عبد الحق"، الذي وجد في أفكارهما صدى لأفكاره، أن ارتبط معهما بصداقة وثيقة .[1]

في حياة الشيخ شخصيتين يعتبران من أهم الشخصيات التي كان لها الدور الكبير في اختيارات الشيخ المعرفية، والتي أثرت في مساره، ومن خلالهما تعرف على المعاني الأصيلة للإسلام وهما شمبرينوو السويدي Ivan-GustafAgelii.

يقول لخضر شايب: "ونضيف هنا بالطبع التأثير الواضح بجون غوستاف آغيلي– عبد الهادي، وهو مقدم الشيخ عبد الرحمان عليش في الطريقة الشاذلية، الذي نقل البركة لغينون سنة 1912، موصلا له بذلك بالطريقة الشاذلية، ولا أشك لحظة أن ممارسة الزهد الإسلامي اليومي قد ناسب عقليته ."[2]

من خلال تتبع مسيرة الشيخ يظهر أنه كان شديد الاهتمام بالتنظيمات والأفكار الروحية، طلبا للحقيقة والخلاص التي فقدها في المسيحية : وقد كان هذا الفيلسوف شغوفا بالاتجاهات الروحية ، ولذلك انضم إلى الكنيسة الغنوصية الفرنسية ثم غادرها، كما انضم إلى الماسونية التي كان يعتبرها إحدى المؤسسات العرفانية الكبرى في العالم، وذلك لارتباطه الشديد بالإسرارية، وخصوصا الإسرارية الهندية التي تتأسس على فكرة وجود موروث ميتافيزيقي واحد و أول يتوارثه العارفون جيلا بعد جيل، ولا سبيل إلى تحصيله إلا بانضمام المريد إلى طريقة تحقق له المعرفة بالعلم السري.[3]

عندما نشبت الحرب العالمية الأولى في العام 1914، بقي غينون يمارس وظيفته بالمدارس الحرة، إلى غاية 1917، أين عين مدرسا للفلسفة بمدينة بلوا، وعند نهاية الحرب، أرسل ليمارس نفس

---

[1]:نهاد خياطة ،مرجع سابق.

[2]:لخضر شايب، نبوة محمد في الفكر الاستشراقي المعاصر، ص: 175 .

[3]:المرجع نفسه، ص: 170 .

الوظيفة في الجزائر، أين عين مدرسا للفلسفة بمدينة سطيف، لكنه عاد بعد مدة قصيرة إلى باريس، لينقطع إلى الدراسات المعمقة في التراث الروحي الإنساني.[1]

في العام 1922 انعقدت بين غينون وبين الكاتب والناشر Paul Chacornac صداقةٌ متينة. كان پول شاكُرناك يصدر مجلة حجاب إيزيس le Voile d'Isis. ومنذ العام 1925، مضى غينون في تعاوُن وثيق مع المجلة التي أعلنت أن هدفها "دراسة المنقول الباطني ومختلف الحركات الروحية القديمة والحديثة. ومنذ العام 1935، قرر صاحب المجلة توجيهَها وفقًا للمنظور الغينوني واتخذ لها اسمًا آخر هو دراسات نقلية ÉtudeTraditionnelles[2] من الواضح والجلي أن الفلسفات، والحركات الروحية التي انتشرت في أوربا، في هاته الآونة، كانت من الأسباب الرئيسية التي جعلت من الشيخ يترك البحث و يبتعد عن الاختصاص في الرياضيات، ويبحر في البحث عن الحقيقة بمفهومها المطلق، وحدودها اللامتناهية كأنه تحمل مسؤولية تقويم وإرشاد فكر أوربي فقد نوره وحاد عن جادة الصواب .

[1]:عطية بن عطية، التيار الروحي وأزمة العالم الحديث، ص 26.

[2]:نهاد خياطة ، مرجع سابق.

ثالثا: سفره إلى مصر

في العام 1928 كانت وفاة زوجته الوفية الفرنسية بيرت وبعد هذه الحادثة بسنتين قرر الشيخ التوجه نحو الشرق، قاصدا مصر كي يتقرب من منابع هذا الدين ويلتقي بأهل الطريق، ويطلع على النصوص العرفانية والكتابات الأولى لأرباب هذا الفن.

وفي فبراير سنة 1930 وهي سنة وفاة الشيخ عليش سافر إلى مصر ...ومكث الشيخ عبد الواحد في القاهرة يؤلف الكتب، ويكتب المقالات، ويرسل الخطابات إلى جميع أنحاء العالم، كان حركة دائمة، حركة فكرية وروحانية تشع أنوارها على كل من يطلب الهداية والرشاد.[1]

كذلك التقى بالشيخ سلامة حسن الراضي مؤسس طريقة الحامدية الشاذلية، وانضم إليها. وصاحب الشيخ حتى مماته عام 1938م. و التقى بالشيخ محمد إبراهيم وتزوج ابنته عام 1934م. وأنجب منها أربعة أبناء. وحصل على الجنسية المصرية عام 1949م.[2]

خلال هذه الحقبة، راح يعمل في مجلة إسلامية تصدر باللغة العربية، كان اسمها المعرفة؛ لكن تعاوُنه مع هذه المجلة لم يدم طويلاً، لأن المجلة نفسها لم تدم طويلاً. في هذه المجلة أسهم غينون بنصيب لا بأس به في العرفان الإسلامي وغيره بلغة الإسلام نفسها؛ وقد عُرِفَ عنه أنه كان يكتب مقالاتِه فيها رأسًا باللغة العربية. وبحسب قواعد العرفان الإسلامي، راح غينون يختبر "أسماء الله الحسنى"، اسمًا اسمًا، حتى ترقَّت به المقاماتُ إلى "مقام القربة"، مقام الأولياء الكبار، يسمع فيه بلا كلام "اسم الله الأعظم"[3]

---

[1]:عبد الواحد يحي ، مليك العالم،ص: ي-ك .

[2]:أحمد يسري حسن، الاسلام الوسطي الجميل والديانة الصوفية الباطنية العالمية، https://http7159.com/2016/10/16/، أكتوبر 16، 2016.تاريخ الاطلاع :2018/04/10 .

[3]:نهاد خياطة، مرجع سابق.

رابعا :وفاته

في منتصف كانون الأول من العام 1950، لزم غينون الفراش من مرض ألمَّ به؛ ...إلا أن صحته تحسنت بعد أيام. لكن ما لبث الداء أن عاوده في السابع من كانون الثاني من العام 1951، فانتابتْه تشنجاتٌ حادة لم يعد يستطيع معها أن يستسيغ طعامًا. في مساء ذلك اليوم دخل في حال الاحتضار. وفي الساعة العاشرة ليلاً جلس في فراشه، ولما كانت الساعة الثالثة والعشرون أخذ يلفظ أنحابه الأخيرة ذاكرًا: "الله... الله..."في اليوم التالي، شُيِّعتْ جنازتُه وكانت جنازة متواضعة، لم يحضرها أيُّ ممثل عن الأزهر، ودُفِنَ في مقبرة "الدرَّاسة" القاهرة إلى جوار حميه الشيخ محمد إبراهيم، ووجهُه متَّجه صوب مكة المكرمة. بلغت مؤلَّفاته سبعة عشر كتابًا، تُرجِمَتْ كلها إلى معظم اللغات العالمية.[1]

وقد خلف الشيخ عبد الواحد يحي صدى في الأوساط الاوربية. يقول عبد الباقي مفتاح :"وفي 9 يناير وصلت إلى باريس برقية تعلن وفاة رينيه جينو الفيلسوف والمستشرق الفرنسي، وما أن وصلت هذه البرقية حتى أخذت الصحف والمجلات تنشر مختلف المقالات عن الشيخ تحت عناوين مختلفة منها حكيم كان يعيش في ظل الأهرامات ، فيلسوف القاهرة، أكبر الروحانيين في العصر الحديث، ووصفوه بالبوصلة المعصومة وبالدرع الحصين، ثم خصصت له مجلة دراسات تراثية عددا ضخما كتب فيه الكثيرون من كتاب فرنسا مقالات شتى .[2]

ترك الشيخ عبد الواحد يحي خلفه إرثا ثقافيا ضخما، يحوي العديد من الكتب والمؤلفات و عشرات من الرسائل والمقالات، اهتم بترجمتها في السنوات الأخيرة الباحث الجزائري عبد الباقي مفتاح.

وتذكر أحد الدراسات المنشورة أن الأوربيين قد أخرجوا حوالي ثلاثمائة عمل عن هذا المفكر مع انعدام أي عمل قدمه دارس مسلم .[3]

---

[1]:نهاد خياطة، مرجع سابق.

[2]:عبد الواحد يحي، مليك العالم، صفحة المقدمة: ك .

[3]: لخضر شايب، نبوة محمد في الفكر الاستشراقي المعاصر، ص: 178 .

المطلب الثالث : حكايته مع الإسلام

أولا : اختياره الإسلام :

بعد أن توصل رينيه جينو إلى الحقيقة وأسلم، أطلق على نفسه اسمه الذي هز العالم بإسلامه، وتسمى بالشيخ عبد الواحد يحي، الذي صار واحدا من الدعاة الشديدي التمسك بالإسلام وتعاليمه، فأخذ يفند المزاعم الصهيونية، والافتراءات التي يقوم بها الكارهون للدين الإسلامي. وكانت كتاباته في الصحف شيئا فريدا من نوعه وقد حرمت الكنيسة قراءة كتبه، وقد وضعته بذلك بجوار عباقرة الفكر، الذين اتخذت تجاههم نفس المسلك، ولكنها رأت في رينيه جينو خطرا يكبر كل خطر سابق، فحرمت حتى الحديث عنه.[1]

تذكر أغلب المصادر أن الشيخ عبد الواحد يحي أعلن إسلامه على يد أحد كبار الصوفية في العصر الحديث :"اعتنق جينو الإسلام بواسطة الشيخ عبد الرحمان عليش وإليه أهدى أحد كتبه، وصفه قائلا : كان الشيخ عليش فرع من الطريقة الشاذلية، وكان في الوقت نفسه، شيخ المذهب المالكي بالأزهر" كان الشيخ يفتح السبل أمام جينو ويهديه الطريق، و كانت بينهما صلة قوية متينة عن طريق تبادل الرسائل والآراء.[2]

ثانيا : دفاعه عن الإسلام

ومما كتبه الشيخ عبد الواحد يحي عن أثر الثقافة الإسلامية، وأظهر فيه فضلها على أوربا قوله: "إن كثير من الغربيين لم يدركوا قيمة ما اقتبسوه من الثقافة الإسلامية ولم يفقهوا ما أخذوه من الحضارة العربية في القرون الماضية، بل ربما لم يدركوا منها شيئا مطلقا، وذلك لأن الحقائق التي تلقى إليهم مشوهة، تحط من قيمة الثقافة الإسلامية وتقلل من قدر المدنية العربية."[3]

ومع أن الشيخ عبد الواحد يحي كان يدافع كثيرا عن الإسلام، إلا أنه لم يذكر تجربته في اعتناق الإسلام، يقول لخضر شايب : "ولهذه الأسباب فإن عبد الواحد غينون لا يتحدث أبدا عن

---

[1]:محمد كامل عبد الصمد، الجانب الخفي وراء إسلام هؤلاء، 01 / 82 .

[2]:عبد الواحد يحي، مليك العالم، صفحتي المقدمة:ح-ط .

[3]:الجانب الخفي وراء إسلام هؤلاء، المرجع السابق، 01 / 82 .

اعتناقه الإسلام، وهو يحيل في هذا دائما إلى أنه قد كان مسلما قبل أن يختار الدين الخاتم .[1]
وموقف الشيخ عبد الواحد يحي جاء انطلاقا من قوله تعالى﴿**وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ، أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ**﴾[الأعراف:172-173]

أخذ الشيخ يظهر عظمة القرآن وإعجازه العلمي بعد أن وجد ارتباطا بين الآيات القرآنية وما جاءت به كثير من العلوم الطبية والطبيعية والعلمية بوجه عام : لقد تتبعت كل الآيات القرآنية التي لها ارتباط بالعلوم الطبية والعلمية والطبيعية، والتي درستها في صغري وأعلمها جيدا، فوجدت هذه الآيات منطبقة كل الانطباق على معارفنا الحديثة، فأسلمت، لأني أيقنت أن محمدا ﷺ أتى بالحق الصراح من قبل 1000 سنة، من قبل أن يكون معلم أو مدرس من البشر ...ولو أن كل صاحب من الفنون أو علم من العلوم قارن كل الآيات القرآنية المرتبطة بما تعلم جيدا، كما قارنت لأسلم بلا شك، إن كان عاقلا خاليا من الأغراض.[2]

يقول عبد الحليم محمود عنه :"هو العالم الفيلسوف الحكيم، الصوفي "رينيه جينو" الذي يدوي اسمه في أوروبا قاطبة، وفي أمريكا، والذي يعرفه كل هؤلاء الذين يتصلون بالدراسات الفلسفية والدينية. وقد كان إسلامه ثورة كبرى هزت ضمائر الكثيرين من ذوي البصائر الطاهرة، فاقتدوا به، واعتنقوا الإسلام، وكونوا جماعات مؤمنة مخلصة، تعبد الله على يقين في معاقل الكاثوليكية في الغرب. لقد أراد أن يعتصم بنص مقدس، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فلم يجد – بعد دراسة عميقة – سوى القرآن، فهو الكتاب الوحيد الذي لم ينله التحريف ولا التبديل، لأن الله تكفل بحفظه، وحفظه حقيقة: ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** ﴾ [الحجر:09]، لم يجد سوى القرآن نصا مقدسا صحيحًا، فاعتصم به، وسار تحت لوائه، فغمره الأمن النفساني في رحاب الفرقان."[3]

---

[1]:لخضر شايب، نبوة محمد في الفكر الاستشراقي المعاصر، ص: 173 .

[2]:محمد كامل عبد الصمد، الجانب الخفي وراء إسلام هؤلاء، 01 / 83 .

[3]: عبد الحليم محمود، أوربا والإسلام، ص: 72- 85 .

ويصف صفي الرحمان المباركفوري تعلقه بالقرآن الكريم قائلا :"فلما درس القرآن غمره الأمن النفسي في رحابه، وأحس بما في الإسلام من روحانية عالية، لا توجد في المسيحية ولا حتى في التصوف المسيحي المسمى بالمستيزم، فأعلن إسلامه وسمى نفسه عبد الواحد يحي ... ولما كان رينيه جينو مفكرا من الطراز الأول، حتى أن من كتب عنه من كبار الكتاب جعلوه في المكانة بجوار أفلاطون والإمام الغزالي وأمثالهما، وقال عنه أدريه جيد في صراحة لا لبس فيها، إن آراء رينيه جينو لا تنقض فإن إسلامه كان ثورة كبرى، هزت ضمائر الكثيرين من ذوي البصائر الطاهرة، فاقتدوا به واعتنقوا الإسلام، وكانوا جماعات مؤمنة مخلصة، تعبد الله على يقين في معاقل الكاثوليكية في الغرب، وبمجرد إسلامه أصبح جنديا من جنود الإسلام، يدافع عنه ويدعو إليه."[1] ومن أمثلة ذلك ما كتبه في كتابه "رمزية الصليب" تفنيدًا للفرية التي تقول إن الإسلام انتشر بالسيف، ومن أمثلة ذلك أيضا، ما كتبه في مجلة "كابيه دي سور" في عددها الخاص بالإسلام والغرب، دفاعا عن الروحانية الإسلامية، مبينا سمو التصوف الإسلامي وروعته، وقارن بينه وبين ما يسمونه بالتصوف المسيحي، أو "المستيسزم"، وانتهى بأن هذا "المستيسزم" لا يمكنه أن يبلغ ولا عن بعد، ما بلغه التصوف الإسلامي من سمو و جلال. على أن الشيخ عبد الواحد يحيي، لم يشد بالإسلام فحسب، وإنما أشاد في جميع كتبه وفي مواضع لا يأتي عليها الحصر بالشرق.[2]

ولقد كتب الشيخ عبد الواحد مقالا مستفيضا بعنوان: "أثر الثقافة الإسلامية في الغرب" بيَّن فيه فضل الثقافة الإسلامية على أوروبا، يقول: بينما يعتبر الأوربيون أنفسهم الورثة المباشرين للمدنية اليونانية القديمة، فإن الحق يدحض زعمهم هذا إذ أن الواقع المعروف من التاريخ نفسه، يثبت لنا أن علوم اليونان، وفلسفتهم لم تنتقل إلى الأوربيين إلا بواسطة المسلمين، وبعبارة أخرى، لم تصل المخلفات العقلية لليونانيين إلى الغرب، إلا بعد أن درسها الشرق. ولولا علماء الإسلام وفلاسفتهم لظل الغربيون جاهلين بتلك العلوم زمنا طويلا بل ربما لم يدركوها كلية. فإننا نلاحظ دليلا واضحا يثبت لنا انتقال المؤثرات الإسلامية في الغرب، وهو تلك الكلمات

[1]:صفي الرحمان المباركفوري، وإنك لعلى خلق عظيم، ص: 217 .

[2]:عبد الحليم محمود، أوربا والإسلام، ص: 72- 85 .

العربية الأصل والمنبت التي استعملت تقريبًا في كل اللغات الأوربية، بل مازالت تستعمل حتى وقتنا هذا، على أن معظم الغربيين الذين يستعملونها يجهلون حقيقة مصدرها كل الجهل. وفي الحق أن تأثير الحضارة الإسلامية قد تناول لدرجة بعيدة وبشكل محسوس، كل العلوم والفنون والفلسفة وغير ذلك. أما عن العلوم فمن السهل أن نفرق بين العلوم الطبيعية والعلوم الرياضية فأما عن الأولى فإنا نعلم علم اليقين أنها انتقلت بكلياتها وجزئياتها إلى أوروبا عن طريق الحضارة الإسلامية مصبوغة بالصبغة الإسلامية تماما. فالكيمياء احتفظت دائمًا باسمها العربي الذي يرجع أصله إلى مصر القديمة، والذي كان له معنى من أعمق المعاني التي لم يعرفها الكيميائيون الحديثون حقيقة. وما تزال قصة الساعة المائة التي أهداها الخليفة هارون الرشيد إلى الإمبراطور شارلمان عالقة بالأذهان ثابتة الوقائع. وأثر الحضارة الإسلامية على أوروبا موضوع كتب فيه كثيرون من زوايا مختلفة، إضافة إلى ما كتبه الشيخ عبد الواحد.[1]

ثالثا : دفاعه عن التصوف وتكاملية العلاقة بين الشريعة والحقيقة:

يصف الشيخ عبد الواحد يحي العلاقة بين الشريعة والحقيقة بالتكاملية حيث يقول : "ربما كانت العقيدة الإسلامية من بين العقائد التراثية الموحاة، هي العقيدة التي يظهر فيها أوضح فرقان بين قسمين متكاملين، يمكن تسميتهما بالظاهر والباطن. إنهما تبعا للمصطلح العربي: الشريعة، أي حرفيا الطريق الواسع الذي يشترك فيه الجميع، والحقيقة الباطنية، المخصوصة بالصفوة، وليس هذا بمقتضى حكم تعسفه يزيد أو ينقص، وإنما بمقتضى طبيعة الأشياء نفسها."[2]

وفي نظر الشيخ أن القسمين ضروريين للبشر ولا يتعارض أحدهما مع الأخر ولا يمكن للبشرية أن تستمر من دونهما، ويعلل وصفه هذا بما يلي :"لا يملك جميع الناس الاستعدادات أو المؤهلات اللازمة لبلوغ معرفة الحقيقة . وللتعبير عن طابعهما الظاهري والباطني كثيرا ما يشبهان على التتالي بالقشر واللب أو أيضا بالدائرة ومركزها "[3]

---

[1]:عبد الحليم محمود، أوربا والإسلام، ص: 72- 85 بتصرف .

[2]:عبد الواحد يحي، التصوف الإسلامي المقارن، ص: 19.

[3]:المرجع نفسه، ص: 19.

ويعتبر الشيخ عبد الواحد يحي أن الشريعة هي الأساس الذي يبنى عليه، ولا يمكن تجاوزه: "ويمكن القول بأن الشريعة هي قبل كل شيء قاعدة للعمل القويم، وبينما الحقيقة هي معرفة خالصة، لكن يجب أن نعلم بأن هذه المعرفة هي التي تعطي للشريعة نفسها معناها السامي والعميق، بل هي تبرز حقا وجود الشريعة، بحيث أنها هي المبدأ المركزي للشريعة، مثلها في هذا مثل مركز الدائرة بالنسبة لمحيطها، وإن لم يشعر بذلك عامة المتدينين."[1]

يؤكد علماء المسلمين على هذا المعنى، فنجد العز بن عبد السلام يشرح هذه الثنائية، مبينا قيمة التصوف ودوره تزكية النفس البشرية، فيقول:" ومعرفة ذلك هي الملقبة بعلم الحقيقة، وليست الحقيقة خارجة عن الشريعة، بل الشريعة طافحة بإصلاح القلوب بالمعارف والأحوال والعزوم والنيات، وغير ذلك مما ذكرناه من أعمال القلوب، فمعرفة أحكام الظواهر معرفة لجل الشرع، ومعرفة أحكام البواطن معرفة لدق الشريعة، ولا ينكر شيئا منهما إلا كافر أو فاجر" [2].

وقد هاجم الشيخ عبد الواحد يحي من يشوشون على التصوف وينسبون له تهمة تفريق الدين ويضعونه في قالب واحد مع الملل والطوائف الخارجة عن الدين: "ومن بين هذه الأخطاء، يجدر التنبيه في المحل الأول على الخطأ الذي يجعل كلمة فرق sectes مطبقة على مثل هذه التنظيمات، وهو خطأ أفدح بكثير من مجرد عدم تلاؤم لفظي. وبالفعل، فعبارة فرق هذه مرفوضة في مثل هذه الحالة، لا لكونها غير لائقة فحسب، وإنما أيضا لأنه توحي دائما بالريبة وسوء الظن، وتبدو ناجمة من أعداء التربية الروحية، مع أن من الممكن استعمالها من طرف من ليس لديهم نية معادية لها تخصيصا، ولم يستعملوها إلا تقليدا أو بحكم العادة، حيث أنه يصدر بالخصوص من أعداء علم الباطن أو التصوف أو المنكرين له في العالم المسيحي وحتى أحيانا في العالم الإسلامي"[3]

[1]:عبد الواحد يحي، التصوف الإسلامي المقارن، ص: 19.

[2]:العز بن عبد السلام، قواعد الأحكام في مصالح الأنام،02 /212.

[3]:عبد الواحد يحي ، نظرات في التربية الروحية ،ص: 63.

المبحث الثاني : التجربة الصوفية عند الشيخ عبد الواحد يحي

المـطلب الأول : أصالة التصوف الإسلامي عند عبد الواحد يحي

المطلب الثانـي : مفهوم التصوف عبد الواحد يحي

المطلب الثالث : آداب السلوك ومجاهدة النفس

المطلب الرابـع : الرؤية النقدية في الفكر الصوفي عند عبد الواحد يحي

المبحث الثاني : التجربة الصوفية عند الشيخ عبد الواحد يحي

المـطلب الأول : أصالة التصوف الإسلامي عند عبد الواحد يحي

أبان الشيخ عبد الواحد يحي عن موقفه تجاه مسألة أصالة التصوف الإسلامي، و حسم رأيه منذ البداية قائلا: "وحينما نتحدث عن أصل التصوف، ينبغي أن لا تعطى أهمية كبيرة لتلك المناقشات التي لا تنتهي بين مؤرخي التصوف، حول التحديد الزمني لظهور كلمة صوفي نفسها ومشتقاتها صوفي متصوف، وهل ظهرت في اللغة منذ البداية، أم تأخرت إلى عهد لاحق، ومن الممكن جدا أن يوجد الشيء قبل وجود اسمه الخاص، سواء وجد تحت اسم آخر أو وجد ولم تكن هناك حاجة لتسميته."[1] فالشيخ هنا يشير إلى أن التصوف الإسلامي كغيره من العلوم الإسلامية الأخرى وإن تأخرت التسمية فالعمل به والأصل موجود منذ نزول النصوص.

يوضح عبد الحليم محمود ذلك قائلا : "الزهد والتصوف أثران للقرآن والحديث ولحياة الرسول صلى الله عليه وسلم الشخصية .ومع بداهة ذلك فإن المستشرقين ومن تابعهم من الشرقيين، يأخذون في الجدل حول مصدر الزهد والتصوف في الإسلام، يراه بعضهم في المسيحية ويراه آخرون في الديانة الفارسية وقوم يرونه أثرا من آثار العقائد الهندية، وآخرون يرون أصوله في الأفلاطونية الحديثة."[2]

وبالعودة إلى كلام الشيخ عبد الواحد يحي الذي يقول : "وعلى كل حال، ففيصل الحق الحاسم في هذه المسألة بالنسبة لأي أحد لا ينظر إليها مجرد نظرة خارجية هو أن التراث الإسلامي الثابت يدل بجلاء على أن علم الباطن، مثله مثل علم الظاهر أي الحقيقة والشريعة ينبعان مباشرة من تعاليم الرسول ﷺ ، و في الواقع ما من طريقة أصيلة وصحيحة إلا وهي تعتمد على سلسلة متواصلة للتربية الروحية تصعد دائما في نهايتها إلى الرسول ﷺ بواسطة حلقات متواصلة من الشيوخ عددهم يزيد أو ينقص."[3]

---

[1]:عبد الواحد يحي، التصوف الإسلامي المقارن، ص: 22.

[2]:عبد الحليم محمود، التفكير الفلسفي في الإسلام، ص: 190 .

[3]:عبد الواحد يحي، التصوف الإسلامي المقارن، ص: 22.

وخرج الشيخ عبد الواحد يحي بخلاصة في هذه المسألة مفادها :"من كل ما سبق يمكننا أن نستنتج بعض النتائج الهامة، أولها أن التصوف ليس أبدا شيئا مضافا إلى الدين الإسلامي، أي ليس شيئا أتى من الخارج فألصق بالإسلام، وإنما هو بالعكس جزء جوهري من الدين "[1]

ويؤكد الشيخ على جوهرية التصوف والتربية الروحية بالنسبة للدين الإسلامي قائلا :"إذ أن الدين بدونه يكون غير مكتمل كما هو واضح ، بل يكون حينئذ ناقصا من جهته العليا، أعني جهة مبدئه الأساسي، لذلك كانت افتراضات غير مبررة، تلك التي تزعم أن أصل التصوف أجنبي عن الإسلام، و هو يوناني أو فارسي أو هندي، ومما يفندها بوضوح كون وسائل التعبير الخاصة بالتصوف الإسلامي، ترتبط ارتباطا وثيقا بالتركيب نفسه للغة العربية."[2]

فالتصوف إذا ليس شيئا أضيف إلى الإسلام أو أتى من الخارج، ولكن الصوفية عند رينيه غينون تكون جزءا جوهريا من الدين، إذ إن الدين بدونها يكون ناقصا من جهته الراقية أعني جهة المركز الأساسي، لذلك كانت فروضا رخيصة تلك التي تذهب بالصوفية إلى أصل أجنبي.[3]

من خلال البحث تظهر لنا استماتت الشيخ في الدفاع عن أصالة التصوف الإسلامي وذلك بتفنيده لدعاوى المستشرقين وخاصة من خلال إيراده للحج العقلية حيث يقول :"وإذا كانت توجد بلا مراء تشابهات بين التصوف الإسلامي والمذاهب المماثلة له في ملل أخرى، فتفسير هذا طبيعي ولا يحتاج إلى اللجوء إلى افتراض استعارات وهمية، وذلك لأن الحقيقة واحدة، وبالتالي فجميع المذاهب التراثية القويمة متطابقة في جوهرها، مهما كان تنوع الأشكال التي تكتسيها."[4]

---

[1]:عبد الواحد يحي، المرجع نفسه، ص:21.

[2]:عبد الواحد يحي، المرجع نفسه، ص:21.

[3]:عبد الله الشاذلي، موسوعة التصوف الإسلامي1- الزهد الإسلامي-، ص:399.

[4]:عبد الواحد يحي، التصوف الإسلامي المقارن، ص:21 .

المطلب الثانـي : مفهوم التصوف عبد الواحد يحي

أولا : تعريف التصوف

يعرف الشيخ عبد الواحد يحي التصوف قائلا: "والتصوف الإسلامي، مثل أي علم حقيقي، هو تربية روحية عرفانية ولا يمكن أن يكون غير هذا."[1]

وكثيرا ما كان يسمي التصوف بعلم الباطن : "وعلم الباطن، باعتباره هكذا مشتملا على الطريقة والحقيقة معا، كوسيلة وغاية هو المسمى في العربية بالتصوف، وهي كلمة لا يمكن ترجمتها إلى الفرنسية إلا بلفظة إنيسياسيون Initiation ."[2]

يجمع الشيخ في هذا التعريف بين الشق النظري للتصوف، وهي العلوم الإشراقية التي تنبثق في نفس المريد، وممارسة الأذكار والعبادات في طريق التربية والسلوك الروحي، وهو الشق العملي.

ويوضح الشيخ عبد الواحد يحي، أن الفكر الغربي لا يفرق في مفهوم التصوف :"مصطلح Mysticisme في الفكر الغربي الحديث، إنما أصبح يطلق على كل المذاهب الروحية الشرقية دون استثناء، أي حتى تلك المذاهب التي لا تمتلك أدنى ارتباط بما هو خارجي عن الذات الإنسانية."[3]

و التصوف في نظر الشيخ هو فعل التربية في هذه الجماعات، يقول: "بينما كلمة تصوف يمكن تطبيقها على كل مذهب باطني قويم أو منهج للتربية الروحية الصحيحة ... وليست المدارس هنا إلا طرقا، أي في الجملة وسائل متعددة، لا وجود في صميمها لأي اختلاف مبدئي، وذلك لأن التوحيد واحد."[4]

---

[1]:عبد الواحد يحي، التصوف الإسلامي المقارن، ص:23.

[2]:المرجع نفسه، ص:20.

[3]: عطية بن عطية، التيار الروحي وأزمة العالم الحديث، ص:181.

[4]: عبد الواحد يحي، التصوف الإسلامي المقارن، ص:20.

ثانيا :الفرق بين الصوفي والمتصوف :

ليس كل من انتسب لطريق أو تنظيم صوفي يمكن أن يسمي نفسه صوفيا، يقول الشيخ عبد الواحد يحي :"على أنه لا ينبغي لأحد أبدا أن يطلق على نفسه اسم صوفي، إلا إذا كان ذلك منه جهلا محضا، لأنه بهذا يبرهن على أنه ليس بصوفي حقيقة، وذلك لأن النعت سر بين الصوفي الحقيقي وبين الله تعالى، ويمكن فقط أن يقول الإنسان عن نفسه متصوف، وهو نعت ينطبق على أي شخص انخرط في طريق التربية الروحية، مهما كانت الدرجة التي أدركها، بينما الصوفي، بالمعنى الحقيقي للكلمة، هو الذي بلغ الدرجة العليا فقط"[1]

فالصوفي الحقيقي في نظر الشيخ، هو الذي اصطفاه الله تعالى وبلغ درجات الكمال الانساني، يقول الشيخ عبد الواحد يحي : "وبالتالي فالصوفي الحقيقي هو الحائز على هذه الحكمة، أو بعبارة أخرى هو العارف بالله، لأنه تعالى لا يعلمه إلا هو، وهذه هي بالذات الدرجات العظمى الجامعة في معرفة الحقيقة."[2]

تذكر مريم علي التريكي:" أن الشيخ عبد الواحد يحي، لا يهتم اهتماما كبيرا بالفترة التي ظهرت فيها كلمة تصوف، لأن هذا بحسب قوله ليس مهما بقدر ما للكلمة من أهمية بحد ذاتها، والاختلاف على تعريف كلمة تصوف، لا ينقص من معناها شيئا، وهذا إن دل على شيء، فإنه يدل على مدى أهميتها بالنسبة لجمهور الصوفية وغيرهم من العلماء."[3]

[1]:عبد الواحد يحي، التصوف الإسلامي المقارن، ص: 20.

[2]:عبد الواحد يحي، المرجع نفسه، ص: 21.

[3]: مريم علي التريكي، الشيخ عبد الواحد يحي وتصوفه، ص: 128.

المطلب الثالث : آداب السلوك ومجاهدة النفس

أولا: ضرورة الالتزام بالشريعة

استهل الشيخ كلامه في بداية خوض الطريق الصوفي بمقدمة، مفادها التقيد بحدود الشرع في كل صغير وكبير، في حياتنا، و ممارساتنا، وسلوكياتنا، يقول الشيخ عبد الواحد يحي :"يبدو أن كثيرا من الناس يشكون في الالتزام قبل كل شيء بالشريعة، والعمل بجميع أحكامها، لمن يريد أن يسلك الطريق الصوفي،...من غير المقبول من أحد يزعم الانتساب للتصوف، أن يتجاهل الشريعة، ولو من جانبها العملي، ذلك لأن الأكثر يتضمن بالضرورة الأقل أي لا يمكن بلوغ مقام الإحسان المتمثل في التصوف إلا بالتحقق حتما بقسميه الأول والثاني أي الإسلام والإيمان بالتطبيق الكامل لأحكام الشريعة"[1]

تقول مريم علي التريكي:" يرى الشيخ عبد الواحد يحي، أن إهمال الشريعة، وعلى الخصوص الجانب العملي منها، يقلل من أهمية الجانب العملي في التصوف نفسه، وهذا خطأ كبير فمن الخير لمن يريد سلوك الطريق الصوفي، أن يلتزم بالشريعة التزاما كليا، قبل أن يبدأ سلوك الطريق."[2]

يظهر من خلال البحث أن الشيخ عبد الواحد يحي يغلق الباب في وجوه من ينسبون للتصوف الأصيل أن أهله يقولون بسقوط التكاليف كيف ذلك وما نقل عنهم في اجتهادهم في الفضائل والرغائب ما لا يترك لخصومهم حجة فما بالنا لتكاليف هي منزلة وواجبة على كل مسلم اتبع محمدا صلى الله عليه وسلم . وما أبلغ الحجة التي أتى بها الشيخ حيث يقول :"فإن الالتزام بالشريعة هو الشرط الأول الذي يتوقف عليه الاقتراب من التصوف، وفوق ذلك، لا ينبغي اعتقاد أنه يستغنى عن الشريعة بعد سلوك الطريق، مثلما الأسس لا يمكن إزالتها عند الانتهاء من تشييد المبنى."[3]

---

[1]:عبد الواحد يحي ، التصوف الإسلامي المقارن، ص 31.

[2]:مريم علي التريكي، الشيخ عبد الواحد يحي وتصوفه، ص: 134.

[3]:عبد الواحد يحي، التصوف الإسلامي المقارن، ص 33.

ثانيا شروط الطريق والتربية الصوفية :

إن المتتبع لكلام الشيخ عبد الواحد يحي، يجد أنه وضع للتربية شروطا ثلاثة وهي: "ويمكن أن نلخص كل ما سبق، بقول أن التربية الروحية تستلزم ثلاث شروط متتابعة، ويمكن جعلها متناسبة على التتالي مع ثلاث كلمات هي: كمون ثم تهيؤ ثم جهد نحو التحقق، وتلك الشروط هي : "أولا الأهلية ..ثانيا التبليغ بواسطة الارتباط ثالثا العمل الداخلي المجاهدة"[1]

الشرط الأول : الارتباط بالسلسلة الروحية

يقول الشيخ عبد الواحد يحي :"ولهذا قلنا قبل قليل بأنه من الضروري الابتداء بالانتساب الظاهري للطريق...فتبعا للمجاهدة الباطنية التي يقوم بها السالك، يحصل لاحقا الشعور بآثار انخراطه في الطريق"[2]

ويقول أيضا :"وهذا عند غياب الشرط الذي كنا بصدد الإشارة إليه، وليس هو سوى الارتباط بتنظيم تراثي تربوي نظامي سوي. فثمة جهال يتخيلون أن المرء يربي نفسه بنفسه."[3]

ومقصود الشيخ في هذا الشرط، أن السير في هذا الطريق لا يتم إلا بالانضمام إلى طريقة صوفية، أي أخذ الورد والإذن لبدء السلوك. ويعرّف السلسلة الروحية بقوله :"سلسلة الطريق، أي سلسلة متتابعة الحلقات تؤمن التبليغ المذكور بكيفية غير منقطعة."[4]

وبالنسبة لغينون إذن، فإنه يوجد في كل دين سلسلة من العارفين تتولى تمرير الحقائق التقليدية بدءا من الأصل، وهي تتركب من العارفين الذين يمتلكون المعرفة الباطنية.[5]

---

[1]:عبد الواحد يحي، نظرات في التربية الروحية، ص:24.

[2]:عبد الواحد يحي، التربية والتحقق الروحي تصحيح المفاهيم، ص: 30.

[3]:عبد الواحد يحي، نظرات في التربية الروحية، ص: 20-21.

[4]:عبد الواحد يحي، المرجع نفسه، ص:45.

[5]:لخضر شايب، نبوة محمد في الفكر الاستشراقي المعاصر، ص: 172 .

الشرط الثاني : الاستعدادات الأولية

يتكلم الشيخ عبد الواحد عن شرط أخر هنا، وهو جاهزية الفرد الداخلية، التي تسمح له و تؤهله للانضمام للطريق الصوفي، حيث يقول :"يمكننا الآن العودة إلى مسألة شروط الطريق، وفي البداية، رغم أن هذا الامر قد يبدو بديهيا، نقول أن أول هذه الشروط هو نوع من الاستعداد أو اللياقة الفطرية ..."[1]

ويقول أيضا : "فالمسألة هنا إذن تتعلق بالأهلية بالمعنى التربوي لهذه الكلمة، هذه الأهلية هي الشرط اللازم لممارسة الحرفة، ...فما يدرس من الخارج ليس له هنا أية قيمة ...وإنما المقصود الحقيقي إيقاظ الطاقات الكامنة التي يحملها الكائن في ذاته."[2]

الشرط الثالث : المجاهدة

يوضح الشيخ عبد الواحد يحي هذا الشرط قائلا :"وهو الكائن إذا كان حقا مؤهلا فهو يحمل مسبقا في ذاته القدرات التي ينبغي تطويرها،...والحال أن من بين هذه الشروط الشرط الذي تكلمنا عنه بالتحديد أي الانخراط في سلسلة نظامية للطريق، ثم الشرط الآخر المتمثل في المجاهدة،"[3] ويقول أيضا :"ومثل ذلك العمل يشكل شرطا أخرا لا يقل بالضبط ضرورة عن الشرط الأول، قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ**﴾[العنكبوت69]"[4]

تقول مريم علي التريكي:" مما سبق يتضح أن ما ذكره الشيخ عبد الواحد يحي، موافق تماما لما أصله العلماء والعارفون المسلمون، ومنهم إمام الجهاديين الأمير عبد القادر الجزائري، الذي قاد الجهاد دافعا عن بلاده، أكثر من خمسة عشر عاما."[5]

إذن المقصود في هذا الشرط، هو مدى التزام المريد بالأوراد والأذكار، وحفاظه على الطاعات والعبادات، وتحليه بالأخلاق و السلوكيات الفاضلة، وهنا يظهر تفاضل الناس وتسابقهم نحو

---

[1]:عبد الواحد يحي، نظرات في التربية الروحية، ص:19.

[2]:عبد الواحد يحي، هيمنة الكم وعلامات آخر الزمان، ص:71-72.

[3]: عبد الواحد يحي، نظرات في التربية الروحية، ص:21.

[4]:المرجع نفسه، ص:19.

[5]:مريم علي التريكي، الشيخ عبد الواحد يحي وتصوفه، ص: 150.

الخيرات جاء في الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " **مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ صَائِمًا ؟، قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَا، قَالَ: فَمَنْ تَبِعَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ جَنَازَةً ؟، قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَا، قَالَ: فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مِسْكِينًا؟، قَالَ أَبُوبَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَا، قَالَ: فَمَنْ عَادَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مَرِيضًا؟ ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَا اجْتَمَعْنَ فِي امْرِئٍ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ**"[1]

ثالثا : دور الشيخ في الطريق التربوي :

أولى الشيخ عبد الواحد يحي عناية كبيرة لدور شيخ التربية في نجاح هذا العمل حيث يقول: "قلنا آنفا أن دور الشيخ عند وجوده، هام في بداية الطريق بالخصوص، وقد يظهر هذا بديهيا، إذ من الطبيعي أن السالك تزداد حاجته لمن يقوده كلما كان تقدمه في السير أقل"[2]

ويقول أيضا : "وهذا الذي ذكرناه ينطبق على الحالة التي يمكن اعتبارها حالة سوية، أو التي ينبغي على أي حال أن تكون عليها سيرورة التربية الروحية، أي التي تستلزم الحضور الفعلي لشيخ التربية البشري... فعندما لا يكون الشيخ الذي يبلغ الطريق حائزا على الكفاءات اللازمة للقيام بوظيفة التربية والترقية، وهو المسمى بشيخ التبرك في التصوف الإسلامي، وبالتالي فدوره يقتصر على تبليغ الفاعلية المرتبطة بالشعيرة التي يقوم بها."[3]

يظهر من كلام الشيخ، أنه يوجه السالك ويعطيه إشارة، إلى أنه يمكن أخذ الأذكار والورد من شيخ تبرك استئناسا، وهذا في رحلة البحث عن الشيخ المربي، أو في غيابه، كي لا تفوتنا فضيلة الانتساب إلى سلسلة الصالحين رجال الله، و ورثة النبيين عليهم أفضل الصلاة وأزكى التسليم فعن عليّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "**لا يُحبُّ رجلٌ قَوْماً إلا حُشِرَ مَعَهُمْ**"[4].

---

[1]:رواه مسلم، الصحيح، كتاب الزكاة، باب من جمع الصدقة، حديث رقم:1028، 713/2.

[2]:عبد الواحد يحي،التربية والتحقق الروحي تصحيح المفاهيم، ص: 135.

[3]:المرجع نفسه، ص: 114.

[4]:محمد ناصر الدين الألباني، صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب، 168/3.

يقول الشيخ عبد الواحد يحي: "ولهذا فإن طموح الشيخ الحقيقي إن أمكن القول، ينبغي أن يتوجه إلى الوصول بالمريد إلى درجة الاستقلال عنه في أقرب مدة، وحين يرى أنه لم يعد بإمكانه السير به إلى مقام أعلى، يوجهه إلى شيخ آخر أعلى منه كفاءة."[1]

المطلب الرابع : الرؤية النقدية في الفكر الصوفي عند عبد الواحد يحي

كان للشيخ عبد الواحد يحي عدة ملاحظات و أراء نقدية تصويبية للمدرسة الصوفية لعل من أبرزها:

المبالغة في المظاهر والطقوس الاحتفالية : يعتبر الشيخ الاهتمام المفرط بالاحتفالات الدينية، نوعا من الرياء الذي يفسد على المريد عبادته يقول في ذلك: "وما ذكرناه عن الاستمتاع بالطقوس الاحتفالية بحصر المعنى، ينطبق كذلك طبعا على الأهمية المفرطة والمغالية إذا صح القول، التي يضفيها البعض على كل ما هو ديكور خارجي أو زخرفة ، وهي تذهب أحيانا، حتى في أمور من طراز تراثي أصيل، إلى حد إرادة جعل هذه اللواحق العرضية عنصرا أساسيا لا مناص منه."[2]

أي أن الاحتفالات والطقوس الدينية التي يقوم بها الصوفية وإن كانت مشروعة، إلا انها يجب أن لا تجاوز حدود الشرع، وبشرط عدم المبالغة فيها .

الاغترار بالعوارض والقدرات النفسية :"الذين يتوهمون في شان قيمة هذه القدرات الخارقة إلى حد اعتبارها علامة على ترقي روحي، بل حتى على غاية ذلك الترقي، بينما هي، حتى لا تكون مجرد سراب من وهم الخيال، تعود حصريا إلى الميدان النفساني الذي لا علاقة له في الحقيقة مع الميدان الروحي، وما هي في اكثر الأحيان إلا عائق في طريق الحصول على أي روحانية حقيقية."[3]

و يضيف أيضا: "و القدرات النفسانية الخارقة هي، عند بعض الأفراد، أمر تلقائي تماما، أي نتيجة استعداد طبيعي يتطور من تلقاء نفسه،...لا يستخلص منها أي امتياز وفخر ...إذ لا

---

[1]:عبد الواحد يحي، التربية والتحقق الروحي تصحيح المفاهيم، ص: 135.

[2]:المرجع نفسه، ص: 74.

[3]:عبد الواحد يحي، نظرات في التربية الروحية، ص:135.

تدل على أي تحقق حاصل، بل إن صاحبها يمكن أن يكون جاهلا تماما بوجود مثل هذا التحقق، فإن لم يطرق سمعه كلام عن التربية الروحية، فيقينا لن يخطر بباله الظن بأنه سالك لكونه يرى أشياء لا يراها كل الناس، أو تحدث له أحيانا منامات تتحقق فعلا في المستقبل، أو يتفق أن يشفي مريضا بمجرد لمسه، ومن دون أن يعلم هو نفسه كيف حصل وقوع ذلك...فلا غرابة إذن إن صح القول، أن ينجر ذووا العقول الضعيفة والجهال إلى الانبهار بمثل هذه المزاعم."[1]

ثم إن تلك النتائج لا تتضمن في أغلب الأحيان يقول الشيخ : "إلا إثارة دهشة البلهاء وإعجابهم بمن يظهرها، أو في ملهيات أخرى لا تقل تفاهة وسخافة . والتبجح بإبراز هذه القدرات هو سبقا دليل على عقلية لا تتلاءم مع كل تربية روحية."[2]

لقد أكد الشيخ على أن هذه الكرامات، دنيوية زائلة و تحيد بالمريد عن المقصد الأول، وهو رضى الله والفوز بالجنة حيث يقول :"فينساق ويضيع وراء توهم بعض ما يشبه ظواهر التحقق ..وما هي إلا نتائج عارضة عابرة غير مقصودة وإنما هي في الحقيقة فتنة."[3]

قال تعالى ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ**﴾ [فاطر:5-6]

ولهذا يقول:" فإن أي أحد يزعم حقا على سلوك طريق التربية، ينبغي عليه أن لا يسعى أبدا لنيل أو تطوير تلك القدرات ... بل حتى عندما يتفق وقوعها له تلقائيا وبصفة عرضية تماما، يجب عليه إزاحتها بكل صارمة بلا هوادة، لأنها عوائق يخشى أن تثنيه عن هدفه الوحيد "[4]

---

[1]:عبد الواحد يحي، نظرات في التربية الروحية، ص:136.

[2]:المرجع نفسه، ص:137.

[3]:عبد الواحد يحي، هيمنة الكم وعلامات آخر الزمان، ص: 254.

[4]:المرجع نفسه، ص: 255.

الاهتمام الزائد بالكتب أو أخذ أصول الطريق منها :

يؤكد الشيخ تعليقا على من يعتمدون في التربية الروحية على ما يقرأ في الكتب :"الجواب هو استحالة الحصول على تربية بواسطة الكتب."[1]

ونقل الباحث عبد الباقي مفتاح في هذا قولا : "وعبر عن هذه الحقيقة الشيخ أحمد التجاني (1230هـ 1815م) فقال حسبما نقله عنه تلميذه علي حرازم، في كتابه جواهر المعاني: اعلم أن الله سبحانه وتعالى جعل في سابق علمه ونفوذ مشيئته ...فمن فزع إلى أهل عصره الأحياء من ذوي الخاصة العليا وصحبهم واقتدى بهم واستمد منهم فاز بنيل المدد الفائض من الله، ومن أعرض عن أهل عصره مستغنيا بكلام من تقدمه من الأولياء الأموات، طبع عليه بطابع الحرمان."[2]

فإن تقرأ علوم الناس ألفا **** بلا عِشق فما حَصَّلت حَرفا[3]

ويوضح الشيخ عبد الواحد يحي هذا المعنى: "وأخيرا يجب علينا أن نظيف ملاحظة أخيرة ذات أهمية أساسية في الفهم الصحيح لطابع التصوف الحقيقي، وهي أن التصوف ليس بتاتا مسألة تبحر في علم نظري، ولا يمكن أصلا أن يؤخذ من مطالعة الكتب على طريقة العلوم المألوفة عند عامة الناس، بل إن مكتوبات أكابر شيوخ التصوف أنفسهم لا يمكن أن تستخدم إلا كرافد أو كدعامة أو كحافز للتأمل، والإنسان لا يصير متصوفا بمجرد قراءتها، بل إنها غالبا ما تبقى مستعصية على الفهم بالنسبة لمن هم غير مؤهلين ."[4]

[1]:عبد الواحد يحي، التربية والتحقق الروحي تصحيح المفاهيم، ص: 38.

[2]:عبد الواحد يحي، المرجع نفسه، ص: 42.

[3]:فريد الدين العطار، عبد الوهاب عزام، التصوف وفريد الدين العطار، ص:59.

[4]:عبد الواحد يحي، التصوف الإسلامي المقارن، ص: 26.

تخلي وتراجع الطرق الصوفية عن أداء دورها في التربية:

وصف الشيخ عبد الواحد يحي حال الطرق الصوفية قائلا: "ومن جهة أخرى أيضا حالة الضمور و الانحطاط التي آلت إليها في الوقت الراهن بعض التنظيمات التربوية كالطرق الصوفية، فأمست لا توفر ركيزة كافية لنيل التربية الروحية الفعلية ."[1]

فالطرق الصوفية اليوم لا يخفى حالها على أحد فأصبحت أغلبها مقصدا لمرضى النفوس والطامعين في المال والسلطان، وما أصاب منتسبيها من انحطاط في الأخلاق، وبعدا عن حدود الشرع والدين ،كما يقول الشاعر:

أما الخيام فإنها كخيامهم***وأرى نساء الحي غير نسائها[2]

انتحال دور الشيخ أو ادعاء المشيخة :

يقول الشيخ عبد الواحد يحي :"والأمر الأصعب، خاصة في عصرنا، ليس الحصول على انخراط في تنظيم روحي، بل يتم هذا أحيانا بسهولة مفرطة، وإنما هو العثور على شيخ تربية كفء، أي بإمكانه حقا القيام بوظيفة القدوة في السلوك الروحي، فيوظف كل الوسائل المناسبة لاستعدادات المريد الخاصة والمميزة له، وهي التي بدونها يستحيل طبعا، حتى عند أكمل شيخ، الحصول على نتيجة فعلية، وبدون حضور لمثل هذا الشيخ الكفء، فإن الانخراط في الطريق يبقى دائما مجرد انتساب شكلي"[3]

هنا أكد الشيخ على مسألة بالغة الخطورة في مسار التربية، وبين خطرها على المريد والتصوف، وهي عدم وجود المربين الأكفاء في هذا الزمن، وانتحال كثير من الأدعياء صفة المشيخة، و يوضح ذلك قائلا : "ومما يزيد في خطورة المشكل، هو أن دعوى المشيخة، بدون أي كفاءة للقيام بهذا الدور، لم تكن أكثر منه مثل ما هو عليه الحال في أيامنا هذه ...فلابد من الحذر الشديد من هؤلاء المتمشيخين المزيفين،...وإذا أضفنا إليه الانجذاب نحو القدرات العجيبة

[1]:عبد الواحد يحي، التربية والتحقق الروحي تصحيح المفاهيم، ص: 31.

[2]:أبو الحسن الفالي، أبو الفرج عبد الرحمان بن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، 10/16.

[3]:عبد الواحد يحي ، التربية والتحقق الروحي تصحيح المفاهيم، ص: 117.

والانبهار بالخوارق التي تزداد غرابتها أو تنقص، والمصاحبة في أغلب الأحوال لذلك الخلط، نعرف من هنا التفسير التام للنجاح الذي يلقاه بعض المتمشيخين المزيفين."[1]

وقد صح قول الناظم حينما قال :

يصحب شيخا عارف المسالك***يَقيـــه في طـــريقه المـــهالك[2]

وبالرجوع إلى كلام الشيخ نجده يقول :"وفي التصوف الإسلامي يقال، أن من يتقدم إلى باب بدون أن يأتيه بطريق سوي شرعي، فسيرى هذا الباب ينغلق أمامه، وسيجبر على أن يعود أدراجه، لكنه سيعود ليس كمجرد عامي، لكنه سيعود كساحر أي كولي للشيطان."[3]

ملخص القول:

إن الشيخ عبد الواحد يحي، بفكره الروي، وبصيرته الثاقبة، ووقوفه عند ضوابط الشرع أمرا ونهيا، يغلق الباب أمام طالبي أدعياء التصوف، و ينكر على أولئك الذين يتاجرون بالدين، وبالطريق الموصلة إلى الله، ويرضون عوضا عنها طرفا من الحياة الدنيا وزينتها، يقول الحق عز وجل:﴿ **أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ**﴾[البقرة:16] ويقول أيضا : ﴿ **أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ** ﴾ [البقرة:86].

[1]:عبد الواحد يحي،التربية والتحقق الروحي تصحيح المفاهيم، ص: 118.

[2]:عبد الواحد ابن عاشر، المرشد المعين على الضروري من علوم الدين، باب مبادئ التصوف، ص: 33.

[3]:عبد الواحد يحي، هيمنة الكم وعلامات آخر الزمان، ص: 277-278.

الخاتمة

خاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

قد خلصت في ختام هذا الدراسة إلى عدة نتائج لعل من أبرزها:

1 أن التصوف الإسلامي أصيل الدار الإسلامية العربية، رغم تأخر التسمية وهذا حال بقية العلوم الإسلامية .

2 إن بعضا من التشابه الحاصل بين التصوف الإسلامي، وغيره من الديانات، والثقافات الأخرى، ليس من قبيل التأثر، بل هو تعبير على وحدة الحقيقة العليا، التي شابها التحريف في تلك الأديان.

3 يعتبر الشيخ عبد الواحد يحي، من أبرز الصوفيين في العصر الحديث، ومع هذا فق بقي مغمورا عربيا، حتى في الأوساط والدراسات الأكاديمية إلى يومنا هذا.

4 ساهم الشيخ عبد الواحد يحي، في نشر التصوف الإسلامي في أوروبا وخارجها، من خلال:

- نقده للتصوف و الروحانيات العالمية الزائفة.
- توضيحه لأسس، وأصول، وضوابط الطريق الصوفي السليم.

5 يمثل الشيخ عبد الواحد يحي، التصوف الإسلامي ذي الصبغة العلمية الأكاديمية.

6 أوضحت الدراسة أن التجربة الصوفية عند الشيخ عبد الواحد يحي، تجربة سنية ملتزمة بضوابط الدين الحنيف، وذلك من خلال تحديده للمسار الدقيق للتصوف الإسلامي، فهو يوجب على السالك :

- الالتزام بالشريعة ظاهرا وباطنا وعدم مخالفتها.
- التأدب والوقوف عند شروط القوم، لسلوك هذا الطريق.
- التقصي والتثبت في اختيار الشيخ القدوة، الذي ينير طريق المريد السالك.
- الالتفات والإعراض عن دعاوى خوارق العادات، والكرامات، التي تنافي معاني الزهد.

ولعلنا قبل الختام ننوه الباحثين، و الدارسين إلى ميراث ضخم من مقالات للشيخ عبد الواحد يحي، لم تولى بعد بالدراسة والبحث، وكذا بالترجمة العربية.

وبعد انتهاء هذا البحث المتواضع نسأل الله أن يغفر خطأنا، وأن يقبل عملنا، والحمد لله رب العالمين .

الفهارس العامة

1–فهرس الآيات القرآنية

2– فهرس الأحاديث النبوية

3– فهرس أبيات الشعر

4– فهرس المصادر والمراجع

5– فهرس الموضوعات

1-فهرس الآيات القرآنية

طرف الآية	السورة	الآية	الصفحة
أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ	البقرة	16	53
أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا	البقرة	86	53
لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ	البقرة	273	08
وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ	الأعراف	172	36
إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ	الحجر	09	36
وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ	الكهف	28	09
إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ	الأنبياء	90	10
وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا	العنكبوت	69	47
يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ	فاطر	5	50
يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ	فاطر	15	49
هوَ الَّذي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا	الجمعة	02	14
وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ	القلم	04	12
وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ	الأنعام	165	13
وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا	الشمس	07	13
وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ	الرعد	22	14
وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ	آل عمران	133	14
وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ	الحشر	09	22
يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ	آل عمران	114	22
وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا	المزمل	20	22

وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا	البقرة	110	22
وَمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ	العنكبوت	64	22
وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ	طه	131	23
اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا	الحديد	20	23
سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ	الحديد	21	23

2- فهرس الأحاديث النبوية

طرف الحديث	الصحابي راوي الحديث	المخرج	الصفحة
إلحق أهل الصّفة فادعهم لي	أبو هريرة	البخاري	08
إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلاقِ	أبو هريرة	مالك	12
ذهبَ صفوُ الدُّنيا وبقيَ كدرُها	عبد الله بن مسعود	الطبراني	09
أن تعبد الله كأنك تراه	عمر بن الخطاب	مسلم	13
إن في الجسد مُضْغَة	النعمان بن البشير	البخاري	13
خَيْرُ أُمَّتِي الْقَرْنُ	عبد الله	مسلم	14
أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا	المغيرة	مسلم	14
مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ صَائِمًا	أبو هريرة	مسلم	48
مالي وما للدنيا ما أنا في الدنيا	عبد الله بن مسعود	الترمذي	24
كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ	عبد الله بن عمر	البخاري	24

3- فهرس أبيات الشعر

بيت الشعر	القائل	الصفحة
لا يعرف الشوق إلا من يكابدهولا الصبابة إلا من يعانيها**	الأبله العراقي	12
وإن تقرأ علوم القوم ألفا ** بلا عِشق فما حَصَّلت حَرفا**	فريد الدين العطار	53
أما الخيام فإنها كخيامهم*وأرى نساء الحي غير نسائها**	أبو الحسن الفالي	54
يصحب شيخا عارف المسالك*يَقيه في طـــريقه المهالك**	عبد الواحد بن عاشر	55

4- فهرس المصادر والمراجع

	القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم
01	**- محمد بن إسماعيل البخاري، الجامع الصحيح،ط1، دار طوق النجاة، 1422هـ.**
02	**- إبراهيم محمد ياسين، مدخل إلى التصوف الفلسفي دراسة سيكو ميتا فيزيقية ، منتدى سور،مصر، 2002.**
03	**- ابن الجوزي ، تلبيس إبليس،دار الفكر للطباعة والنشر،بيروت،لبنان،ط1،2001.**
04	**- ابن الملقن، طبقات الأولياء، ت :نور الدين شريبة ، مكتبة الخانجي، بالقاهرة، ط 02، 1994.**
05	**- ابن حجر الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ط.1، مكتبة القدسي القاهرة، 1994م**
06	**- ابن خلدون ، المقدمة ، تح: عبد الله محمد الدرويش ، دار البلخي ، دمشق ، ط1، 2004.**
07	**- ابن عجيبة الحسني،البحر المديد في تفسير القرآن المجيد،تح: أحمد عبد الله القرشي رسلان، ط حسن عباس زكي، القاهرة، 1419هـ .**
08	**- أبو الريحان البيروني ،تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة،عالم الكتب، بيروت، ط02، 1403.**
09	**- أبو العلا عفيفي ، التصوف الثورة الروحية في الإسلام ، دار الشعب بيروت .**
10	**- أبو الفرج عبد الرحمان بن محمد بن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ت:محمد عبد القادر عطا–مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط02، 1995.**
11	**- أبو الوفا الغنيمي التفتازاني ، مدخل إلى التصوف الإسلامي ، دار الثقافة ، القاهرة ، ط3 ، 1989 .**
12	**- أبو نصر السّرّاج الطّوسي ،اللّمع ، تح: عبد الحليم محمود طه عبد الباقي سرور، دار الكتب الحديثة بمصر، ط 1960.**
13	**- أبي القاسم عبد الكريم القشيري ، الرسالة ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، 2001 .**

14	– أبي عيسى محمد الترمذي، الجامع الصحيح–السنن–، ت:ابراهيم عطوة عوض،ط1، 1962.
15	– اجناس جولدتسيهر،العقيدة والشريعة في الإسلام،ت:محمد يوسف موسى وآخرون،دار الكتب الحديثة،مصر،ط2
16	– آنا ماري شيمل ، الأبعاد الصوفية في الإسلام ، ت : محمد إسماعيل السيد و رضا حامد قطب ، منشورات الجمل ، بغداد ، ط1 ، 2006 .
17	– تقي الدين محمد ابن تيمية، الإيمان، ت:الألباني، المكتب الإسلامي، عمان، الأردن،ط5،/1996.
18	– جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة، دار الطليعة بيروت، ط3، 2006.
19	– رينولد هنري نيكلسون ، الصوفية في الإسلام ، ت : نور الدين شريبه ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط2 ، 2002
20	– زروق الفاسي،قواعد التصوف،تح:عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية،بيروت ،لبنان،ط2 ، 2005 .
21	– زكي مبارك ،التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق ،ط 2012 .
22	– سبنسر ترمنجهام ، الفرق الصوفية في الإسلام ، ت : عبد القادر البحراوي ، دار المعرفة الجامعية ، بنها ، 1994
23	– صفي الرحمان المباركفوري ،وإنك لعلى خلق عظيم ،كندة للإعلام والنشر،2006.
24	– صلاح الدين خليل الصفدي، الوافي بالوفيات، ت: أحمد الأرناؤوط–تزكي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، ط1، 2000.
25	– الطاهر بن عاشور ، التحرير والتنوير ، الدار التونسية للنشر ، تونس،ط، 1984.
26	– عبد الحليم محمود ، أوربا والإسلام ، ط:04 ، القاهرة ، دار المعارف .
27	– عبد الحليم محمود ، التفكير الفلسفي في الإسلام ، ط2 ، دار المعارف .
28	– عبد الحليم محمود ، قضية التصوف المدرسة الشاذلية ، ط: 03 ، القاهرة ، دار المعارف .
29	– عبد الله الشاذلي ، موسوعة التصوف الإسلامي1 الزهد الإسلامي ، دار الآفاق ، القاهرة ، ط1 ، 2006 .

30	– عبد الواحد ابن عاشر، المرشد المعين على الضروري من علوم الدين، السلسلة العربية للكتاب ،الأردن ،2013.
31	– عبد الواحد يحي ، التصوف الإسلامي المقارن ، ت : عبد الباقي مفتاح ، عالم الكتب الحديث ، إربد الأردن ، ط1 ، 2013.
32	– عبد الواحد يحي ، نظرات في التربية الروحية، ت: عبد الباقي مفتاح، عالم الكتب الحديث ، إربد الأردن ،ط1 ،2014
33	– عبد الواحد يحي ، هيمنة الكم وعلامات آخر الزمان ، ت: عبد الباقي مفتاح، ط1 ، إربد الأردن ، 2013 عالم الكتب الحديث
34	– عبد الواحد يحي ،التربية والتحقق الروحي تصحيح المفاهيم، ت: عبد الباقي مفتاح ، ط1 ، إربد الأردن ، عالم الكتب الحديث ، 2014
35	– عبد الواحد يحي، مليك العالم، ت: عبد الباقي مفتاح، عالم الكتب الحديث ، إربد الأردن ،ط1 ،2013 .
36	– عبد الوهاب عزام، التصوف وفريد الدين العطار، دار المحرر الأدبي للنشر والتوزيع،مصر،2017.
37	– العز بن عبد السلام،قواعد الأحكام في مصالح الأنام،مكتبة الكليات الأزهرية – القاهرة، ط 1991 .
38	– علي سامي النشار، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، دار المعارف، القاهرة،ط9.
39	– فيصل بدير عون ، التصوف الإسلامي الطريق والرجال ، مكتبة سعيد رأفت ، القاهرة، 1983 .
40	– قاسم غنى ، تاريخ التصوف في الإسلام ، ت: صادق نشأت ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 1970 .
41	– الكلاباذي، التعرف لمذهب أهل التصوف ، تصحيح: آرثر جون آربري، مكتبة الخانجي، القاهرة، بدون تاريخ .
42	- الكوهن طبقات الشّاذليّة الكبرى، منشورات علي بيضون ،دار الكتب العلمية ،بيروت لبنان، ط 02، 2005
43	– لخضر شايب ، نبوة محمد في الفكر الاستشراقي المعاصر ، مكتبة العبيكان.

44	– ماسينيون ومصطفى عبد الرازق ، التصوف ، ت: إبراهيم خورشيد وآخرون ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ط : 1 ، 1984 .
45	– مالك ابن أنس، الموطأ، ط.1، دار إحياء اللوم العربية، الفاهرة،1414هـ–1994م.
46	– محمد الغزالي ، الجانب العاطفي من الإسلام ،نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع،ط 03، 2005 .
47	- محمد القاضي التهانوي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ت: علي دحروج، ناشرون، بيروت،ط1، 1996.
48	- محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح الأدب المفرد، ت: الألباني، دار الصديق، ط4، 1997.
49	- محمد بن بريكة ،التصوف الإسلامي من الرمز إلى العرفان،دارالمتون،الجزائر،ط1، 2006 .
50	– محمد كامل عبد الصمد ، الجانب الخفي وراء إسلام هؤلاء، ط: 01، الدار المصرية اللبنانية ، 1995 .
51	– محمد ناصر الدين الألباني، صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب، مكتَبة المَعارف، السعودية، ط1، 2000.
52	– مسلم بن الحجاج، المسند الصحيح، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط1، 1991.
53	– الهجويري، كشف المحجوب، دراسة وترجمة وتعليق: إسعاد عبد الهادي قنديل، مكتبة الاسكندرية، ط 1974.
54	– هنري كوربان، تاريخ الفلسفة الإسلامية ، ت : نصير مروة وآخرون ، عويدات للنشر، بيروت، ط2 ،1998.
55	– يحي مراد، معجم أسماء المستشرقين، دار كتب عربية، د.ت.

	الرسائل الجامعية
56	مريم علي إمحمد التريكي، الشيخ عبد الواحد يحي وتصوفه، إشراف :أ.د كوكب محمد مصطفى عامر، رسالة دكتوراه في الآداب، تخصص فلسفة، جامعة عين شمس، كلية البنات للآداب والعلوم والتربية، قسم الفلسفة، 1438هـ-2017.
57	عطية بن عطية، التيار الروحي وأزمة العالم الحديث-روني غينون نموذجا- دراسة تحليلية، إشراف:عبد الرزاق قسوم، رسالة ماجستير في الفلسفة، تخصص فلسفة حديثة، جامعة الجزائر كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم الفلسفة، 2009-2010.

	المواقع الإلكترونية
58	نهاد خياطة ،رينيه غينون والبحث عن المنقول الحقيقي، http://www.maaber.org/issue_february06/spiritual_traditions2.htm، شباط 2006،تاريخ الاطلاع : 2018/04/10
59	محمد عادل شريح : رينيه غينون والتقليدية التكاملية، http://almultaka.org/site.php?id=362، تاريخ النشر : 25-04-2005 ،تاريخ الاطلاع :2018/04/10 .
60	مقال نشر في موقع مركز الفكر الغربي ، تحت اسم :رينيه غينون، http://www.cwestt.com/encyc/Ren%C3%A9_Gu%C3%A9n on ،تاريخ الاطلاع : 2018/04/10 .
61	إيمان عادل : رحلة رينيه غينون ..الشرق حينما كان خلاصا،https://www.alaraby.co.uk/culture/2017/1/12،تاريخ النشر: 12 يناير 2017 ،تاريخ الاطلاع :2018/04/10
62	أحمد يسري حسن، الاسلام الوسطي الجميل والديانة الصوفية الباطنية العالمية، https://http7159.com/2016/10/16/ ، أكتوبر 16، 2016 .تاريخ الاطلاع :2018/04/10 .

5- فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
الاهداء	
شكر وتقدير	
الملخص	
Abstract	
المقدمة	01
الفصل الأول: مدخل مفاهيمي	07
المبحث الأول : التصوف الإسلامي	07
المبحث الثاني : التصوف الإسلامي مفهومه وأهميته واطوره	08
المبحث الأول : التصوف الإسلامي	08
المطلب الأول : مفهومه	08
المطلب الثاني : أهميته	08
المطلب الثالث : النشأة والتطور التاريخي	08
المبحث الأول : التصوف الإسلامي	09
المطلب الأول: مفهومه	09
أولا: الاشتقاق اللغوي:	09
ثانيا: المعنى الاصطلاحي	12
ملخص التعاريف:	13
المطلب الثاني : أهميته	14
المطلب الثالث: النشأة والتطور التاريخي	15
أولا : عصر النبوة والرسالة	15
ثانيا : مرحلة التابعين (الزهد)	16

ثالثا :التصوف الفلسفي النظري	17
رابعا: انتشار الطرق الصوفية	18
المبحث الثاني : مصادر التصوف الإسلامي	20
المبحث الثاني : مصادر التصوف الإسلامي	21
المطلب الاول: المصادر الأجنبية	21
القائلين بأن مصادر التصوف الإسلامي أجنبية	21
خلاصة الرأي الأول	22
المطلب الثاني : المصادر الأجنبية	23
القائلين بأن مصادر التصوف الإسلامي داخلية	23
خلاصة المبحث	27
الفصل الثاني: الشيخ عبد الواحد يحي ومعالم الطريق الصوفي	28
المبحث الأول : حياة الشيخ عبد الواحد يحي	28
المبحث الثاني : التجربة الصوفية عند الشيخ عبد الواحد يحي	28
المبحث الأول : حياة الشيخ عبد الواحد يحي	29
المطلب الأول : مولده و اسمه	29
المطلب الثاني : نشأته	29
المطلب الثالث :حكايته مع الإسلام	29
المبحث الأول : حياة الشيخ عبد الواحد يحي	30
المطلب الأول : مولده واسمه	30
المطلب الثاني :نشأته	31
أولا : البيئة العامة	31
ثانيا : المسيرة العلمية	32
ثالثا : سفره إلى مصر	35

رابعا :وفاته	36
المطلب الثالث : حكايته مع الإسلام	37
أولا : اختياره الإسلام	37
ثانيا : دفاعه عن الإسلام	37
ثالثا : دفاعه عن تكاملية العلاقة بين الشريعة والحقيقة	40
المبحث الثاني : التجربة الصوفية عند الشيخ عبد الواحد يحي	42
المطلب الأول : أصالة التصوف عند عبد الواحد يحي	42
المطلب الثاني : مفهوم التصوف عند عبد الواحد يحي	42
المطلب الثالث : آداب السلوك ومجاهدة النفس	42
المطلب الرابع : الرؤية النقدية في الفكر الصوفي عند عبد الواحد يحي	42
المبحث الثاني : التجربة الصوفية عند الشيخ عبد الواحد يحي	43
المطلب الأول : أصالة التصوف عند عبد الواحد يحي	43
المطلب الثاني : مفهوم التصوف عند عبد الواحد يحي	45
أولا : تعريف التصوف	45
ثانيا : الفرق بين الصوفي والمتصوف	46
المطلب الثالث : آداب السلوك ومجاهدة النفس	47
أولا : ضرورة الالتزام بالشريعة	47
ثانيا : شروط الطريق والتربية الصوفية	48
الشرط الأول : الارتباط بالسلسلة الروحية	48
الشرط الثاني : الاستعدادات الأولية	49
الشرط الثالث : المجاهدة	49
ثالثا : دور الشيخ في الطريق التربوي	50
المطلب الرابع : الرؤية النقدية في الفكر الصوفي عند عبد الواحد يحي	51

المبالغة في المظاهر والطقوس الاحتفالية	51
الاغترار بالعوارض والقدرات النفسية	51
الاهتمام الزائد بالكتب أو أخذ أصول الطريق منها	53
تخلي وتراجع الطرق الصوفية عن أداء دورها في التربية	54
انتحال دور الشيخ أو ادعاء المشيخة	54
الخاتمة	56
الفهارس العامة	59
فهرس الآيات	60
فهرس الاحاديث	62
فهرس أبيات الشعر	63
فهرس المصادر والمراجع	64
فهرس الموضوعات	70